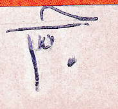


الحقيقة و الظلال

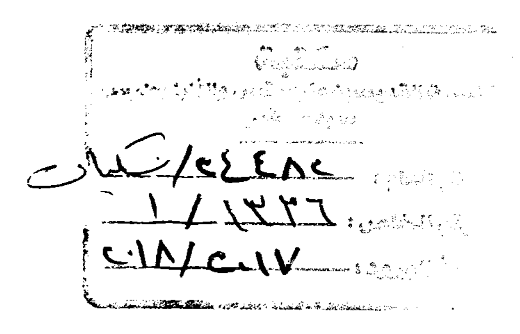
آمنت لذلك تكلمت (٢كو ٤ : ١٣)





الحقيقة و الظلال

آمنت لذلك تكلمت (٢كو ٤: ١٣)



للقديس

يوحنا ذهبى الفم

اسم الكتاب	: الحقيقة والظلال آمنت لذلك تكلمت
اسم المؤلف	: القديس يوحنا ذهبي الفم
اسم المترجم	: د. سعيد حكيم يعقوب
اسم المطبعة	: جي سي سنتر، مصر الجديدة ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
الطبعة الأولى	: ٢٠١٧/٣٢٤٦م
رقم الإيداع	978-977-90-4615-0:



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



فهرس المحتويات

القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيمًا للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزًا بين الأغنياء والفقراء، وإتساعًا لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعية، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يثنيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى «أنثوسا» فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى أثناء

تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقًا كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[1].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

١ـ ضد اليهود،

٢ـ ضد يوليانوس والأمم،

٣ـ عن البتولية،

٤ـ رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥ـ الدفاع عن الرهبنة،

٦ـ الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧ـ ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس[2].

1 Δ.Γ.Τσαμης. “Εκκλησιαστική Γραμματολογία”Θεσλνίκη1992 σελ..163-164.

2- Palladuis 5.

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا، وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة

أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) - قال البعض إن هذا قد حدث بسبب نفيه - فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى. لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع أفذوكسيا. وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقًا. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[٣].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧هاتور ٢٧نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (Π.Γ47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا.

٣ - المرجع السابق، ص١٦٥.

+ سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة

(Ἀκαταληπτο τῆς θείας φὺσης)

+ ١٢ عظة «للمعمدين الجدد».

+ ٨ عظات «ضد اليهود».

عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة.

+ عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون

لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية.

+ عن الزواج والبتولية

عظات في الأعياد والمواسم:

+ عن ميلاد المخلّص. + عن الظهور الإلهي.

+ عن عيد الخمسين. + عن صلب المخلّص.

+ عن القيامة. + عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

مديح للشهداء والأبرار القديسين:

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

رسائل:

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

مقدمة



مقدمة

إن الطبيب الذي يتميز بالحكمة وسط أقرانه من الأطباء، عندما يرى أن جُرحًا ما يحتاج إلى تدخل جراحي، فإنه يقوم بإجراء الجراحة على الفور، ولكن ليس بدون ألم، وفي الوقت ذاته بكل شفقة وعطف، بل إنه يتألم ويفرح، مثل الذين يخضعون للجراحة. فمن ناحية هو يتألم للألم الذي سبَّبه الجَرح، ويفرح أيضًا بسبب الشفاء الناتج عن الجراحة. هذا ما فعله الرسول بولس طبيب النفوس الحكيم، عندما وبَّخ أهل كورنثوس ذات مرة، حين كانوا مُحتاجين حقًا لهذا التوبيخ الشديد، فقد فَرِحَ، وحَزِنَ، في آن واحد، حَزِن لأنه سبَّب لهم آلمًا، ولكنه فَرِحَ، لأنه قد أفادهم، وقد أوضح الأمرين، قائلاً: « لأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْزَنْتُكُمْ بِالرِّسَالَةِ لَسْتُ أَنْدَمُ، مَعَ أَنِّي نَدِمْتُ»[4]. فلماذا ندم؟ ندم لأنه وبَّخهم بشدة، ولم يندم، لأنه قد أصلحهم. ولكي تعلم كيف أن هذا هو السبب، إسمع ما يقول: « فَإِنِّي أَرَى أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ أَحْزَنَتْكُمْ وَلَوْ إِلَى سَاعَةٍ. اَلآنَ أَنَا أَفْرَحُ، لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ»[5]. أي أنه ـ هكذا يقول ـ إن كنت

٤- (٢كو٧:٨)، ندمت أنني كتبت الرسالة، لكن إلى أن أتي تيطس، وأخبرني كيف أنهم تابوا وإنصلحوا.

٥ - كو٧:٨-٩.

قد أحزنتكم لوقت قصير، إلا أن الفائدة مستمرة وممتدة. فإني إترجاكم أن تسمحوا لي أن أتوجه إلى محبتكم بهذه الكلمات، حتى وإن كنت قد أحزنتكم بسبب إرشاداتي السابقة، فإنني لم أندم لأجل ذلك، وإن كنت قد ندمت فيما بعد « لا لأني أحزنتكم. بل لأنكم حزنتم للتوبة». لأنه، ها هو حزنكم بحسب مشيئة الله، كم جعلكم مستعدين؟ إن إجتماعنا اليوم مشرق، والمستمعون فرحون، وبالأكثر شركة الأخوة. هذا الإستعداد، هو ثمرة ذلك الحزن.

لذلك بقدر ما حزنت آنذاك، على قدر ما فرحت الآن وأنا أرى أن كرمنا الروحي مليء بالثمار. لأنه إن كان حضور المدعوين في الموائد العامة، يحمل فخرًا وفرحًا لمن دعاهم، على الرغم من أن الكثيرين من المدعوين لهذه الموائد، يستهلكون كثيرًا ما يقدم لهم، مما يتطلب نفقات أكثر. فبالأكثر جدًا يمكن أن يحدث هذا بالنسبة للموائد الروحية، حيث يحدث العكس، ليس فقط أن المدعوين لا يستهلكون، بل يقدمون فائضًا أيضًا. فإن كانت المشاركة هناك تحمل بهجة، فإن المشاركة في المائدة الروحية، تجعلكم تعيشون السعادة الروحية بصورة أكثر قوة، لأن هذه هي طبيعة الأمور الروحية، عندما تُوزع على كثيرين، تزداد أكثر. إذًا لأن مائدتنا الروحية عامرة، فإن نعمة الروح المرجوة ستعمل في نفوسكم. لأن الروح عندما يرى أن هناك إقبالاً كبيرًا من المؤمنين، يجعل المائدة أكثر غنى، لا لأنه

يحتقر العدد القليل، بل لأنه يرغب في خلاص الكثيرين. لذلك عندما ظهر المسيح للرسول بولس، أوصاه بعدما يجتاز مدنًا أخرى، أن يبقى في كورنثوس، قائلاً له: « لاَ تَخَفْ، بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ، لأَنَّ لِي شَعْبًا كَثِيرًا فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ»[٦]. لأنه إن كان الراعي يجتاز جبالاً ووديانًا، وطرقًا غير مسلوكة، من أجل خروف واحد، فكيف لا يُظهر غيره كبيرة، عندما يرغب في أن ينقذ خرافًا كثيرة من الأمراض والإنحرافات الروحية؟ ومن حيث أنه لا يحتقر العدد القليل، إسمع إبن الله وهو يقول: « لَيْسَتْ مَشِيئَةً أبي... أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ»[٧]. إذًا فلا العدد القليل، ولا الأصل المتواضع، يجعلوه يتجاهل خلاصنا.

إذًا طالما أن عناية الله الفائقة بالأصاغر والعدد القليل، هي نفس عنايته بالكثيرين، وطالما أننا ننسب كل شيء لعناية الله، لنعرض لكلمات الرسول بولس التي قُرأت اليوم، وما هي هذه الكلمات؟ يقول: « لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ »[٨]. إن الذين يبحثون عن مصدر الإشياء، عندما يرون مياهًا قد غطت مكانًا ما، فإنهم يبدأوا في أعمال الحفر حتى يصلوا إلى مصدر تسرب المياه، هكذا فلنفعل نحن أيضًا، طالما أننا قد وجدنا المصدر الروحي الذي ينبع من حكمة

٦- أع ١٨:٩-١٠.

٧- مت١٨: ١٤. وكما جاء في بعض المخطوطات.

٨- كو٥: ١.

الرسول بولس، كما من نبع معين، مُنقادين من الكلمات إلى الجذر أو الأصل ذاته، حتى نصعد إلى أعلى.

فليبارك المسيح إلهنا هذا العمل لمجد إسمه، وبنيان كنيسته بصلوات والدة الإله العذراء القديسة مريم، وصلوات القديس يوحنا ذهبي الفم، وصلوات صاحب القداسة أبينا المعظم قداسة البابا تواضروس الثاني، ولإلهنا القدوس المجد والقوة والكرامة إلى الأبد آمين.

نص هذه العظات الثلاث موجودة في بترولوجيا ميني، مجلد ٥١ . من ص ٢٧١-٣٠٢.

العظة الأولى



آمنت
لذلك تكلّمت (٢كو٤: ١٣)

نور الإيمان:

يقول الرسول بولس: «فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوبِ: «آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا»[٩]. ماذا تقول، هل إن لم تؤمن لا تتكلم، بل تبقى صامتًا؟ يقول نعم، فأنا لا أستطيع أن أفتح فمي بدون إيمان، ولا أن أحرّك لساني، طالما بقيت أنا الإنسان العاقل. بدون تعليم الإيمان. لأنه إن لم تُزرع البذرة، ويصبح لها جذرًا. فمن غير الممكن أن تنمو، ويكون لها ثمرًا، هكذا عندما لا يكون هناك إيمانًا سابقًا، فمن غير الممكن أن تأتي كلمة التعليم. لذلك يقول في موضع آخر: « لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ»[١٠].

وهل من الممكن أن يكون هناك ما هو أفضل من هذه الشجرة، أو ما هو شبيهًا بها، والتي ليس فقط فروعها، بل أن جذرها ذاته يُثمر؟ من ناحية الفروع تُمثّل البر، والجذر يُمثّل الخلاص. لذلك يقول: « آمنت لذلك تكلمت». إن الجسد في مرحلة الشيخوخة يُصاب بحالة من إرتعاش الأطراف،

٩- كو٤: ١٣.

١٠- رو١٠: ١٠.

لذلك يلجأ الإنسان لإستخدام عكاز ليحميه من السقوط أرضًا، هكذا فإن أفكار نفوسنا المضطربة والمضلَّلَة بسبب الخطية، يقودها الإيمان بأمان، بأكثر قوة من العكاز، ويُريحها بقوته، ويسندها ويعضدها بثبات، ولا يترك الخطية تسود عليها أبدًا، لأنه يُصلح الأفكار الشريرة بقوته الوافرة، ويطرد الظلام الدامس الذي نتج عن أفكار النفس الشريرة، وهذه النفس التي بقيت مضطربة في أفكارها، كما لو كانت في بيت مُظلم، يُنيرها الإيمان بنوره. لذلك جميع الذين لا إيمان لهم، ليسوا في حالة أفضل من الذين يعيشون في ظلام، فإنهم يرتطمون بالجدران ويصطدمون بكل ما يقابلهم، ويسقطون في وديان، ومنحدرات، ولا تفيدهم أعينهم في شيء، لأنه يفتقدون النور الذي يقودهم. هكذا كل مَن لا إيمان لهم، يصطدمون بعضهم بالبعض، ويرتطمون بالجدران، وفي النهاية ينهاروا، ويقودوا أنفسهم إلى الهلاك.

والشاهد على هذا الكلام، هم أولئك الذين يفتخرون بحكمتهم العالمية، الذين يفتخرون بإطلاق اللحية، وبملابسهم الثقيلة، والعصيّ التي يمسكونها. لأنه بعد كلمات مطوّلة، وكثيرة، لم يروا الأحجار التي أمام أعينهم، لأنهم إن كانوا قد رأوها، ما كان لهم أن يؤمنون بأنها آلهة. لقد تصادموا فيما بينهم، وسقطوا في منحدر الكفر والجحود العميق جدًا، ليس لشيء آخر، سوى لأنهم

فقط، قد عهدوا بكل مشاكلهم إلى أفكارهم، وهذا ما أوضحه الرسول بولس قائلاً: «لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللّه لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِله، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ»[11]. بعد ذلك أظهر سبب ظلمة أفكارهم، وغباءهم، فأضاف: «وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللّهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ»[12]. لكن عندما أتى الإيمان، بدَّد هذه الظلمة من النفس التي قبلته. وكما أن القارب الذي يتخبط وسط الأمواج ويمتلىء بالماء بسبب إرتفاع الأمواج، فإن المرساة التي تلقى لتثبيته، تحميه من كل ناحية، وتثبته وسط البحر، هكذا هو ذهننا، عندما تجعله الأفكار الخاطئة يضطرب، يأتي الإيمان ويُخلّصه من الغرق، وبصورة أكثر يقينية وثبات من المرساة، فإنه يأتي في شهادة الضمير، كما في ميناء هادىء، حتى ترسو سفينة الحياة. وهذا أيضًا ما أوضحه الرسول بولس، قائلاً: « وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِل. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً

١١- رو١: ٢١، ٢٢.

١٢- رو١: ٢٣.

مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيم»[١٣]. أرايت عظمة ما يُحققه الإيمان، أنه يطرد القلق والإضطراب، كمرساة آمنه. هذا عينه ما كتبه الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين، مُتحدثًا عن الإيمان، فيقول: «الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ»[١٤]. وحتى لا تعتقد، عندما تسمع كلمة مرساة، أنه يجذبك إلى أسفل، فإنه يُظهِر أن لهذه المرساة طبيعة جديدة، فهي لا تدفع بإتجاه الإنحدار إلى أسفل، بل تسمو بالذهن إلى أعلى، وتنقله إلى السماء، وتقوده إلى ما داخل الحجاب، لأن السماء هنا هي التي يدعوها بالحجاب. لمن ولماذا؟ من حيث أن الحجاب الذي هو خارج الخيمة كان يفصل قدس الأقداس عن الجزء الخارجي، هكذا تمامًا هذه السماء، كحجاب مُمتدة فوق هذا الكون، هي خارج هذا العالم، أي تفصل العالم الذي نراه عن قدس الأقداس الذي هو فوق سماء السموات، والذي دخله المسيح، كسابق لأجلنا.

رجاء الحياة الأبدية:

هذا ما يعنيه في كل ما قاله، هكذا يقول إن الإيمان هو الذي يسمو بنفوسنا، ولا يتركها تسقط، بسبب مآسي الحياة الحاضرة، ويُخفف من الآلام من خلال رجاء الحياة الأبدية. لأنه مَن يسعى لخيرات الدهر الآتي، وينتظر الحياة

١٣- أف٤: ١١-١٤.

١٤- عب٦: ١٩.

السمائية، ويوجه عيون نفسه نحو هذه الحياة، لا يشعر بآلام هذه الحياة الحاضرة، كما أن الرسول بولس لم يشعر بها وعلّم بحكمة الحياة في المسيح، قائلاً: «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا»[15]. كيف وبأي طريقة؟ يقول: « غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى»[16]. سنراها بعيون الإيمان. فكما أن عيون الجسد، لا ترى ما يدور في الذهن أو الفكر، هكذا عيون الإيمان لا ترى أي شيء مادي. ولكن ما هو الإيمان الذي يقصده الرسول بولس هنا؟ لأن إسم أو صفة الإيمان، لها معنى مزدوج. إيمان يُقال عن هذا الذي صنع به الرسل معجزات، والتي قال عنه المسيح: « لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ»[17]. وفي موضع آخر، عندما عجز التلاميذ عن إخراج الشياطين من ذاك الذي كان مأسورًا به، وأرادوا أن يعرفوا السبب، أعلن لهم أن هذا بسبب عدم إيمانهم، قائلاً: « لعدم إيمانكم». وعندما مشى القديس بطرس على الماء، وكان على وشك أن يغرق، وجّه له المسيح نفس التأنيب، قائلاً: «يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟»[18]. إذًا إيمان يقال عن الذي يصنع الآيات والمعجزات، لكن يُقال أيضًا عن الإيمان الذي

١٥- ٢كو٤: ١٧.

١٦- ٢كو٤: ١٨.

١٧- مت١٧: ٢٠.

١٨- مت١٤: ٣١.

يحملنا إلى معرفة الله، المعرفة التي بها يصير كل واحد منّا مؤمنًا، كذلك يكتب الرسول بولس إلى أهل رومية، قائلاً: « أَشْكُرُ إِلهِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، أَنَّ إِيمَانَكُمْ يُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ»[19]. وفي رسالته إلى أهل تسالونيكي، يكتب قائلاً: « لأَنَّهُ مِنْ قِبَلِكُمْ قَدْ أُذِيعَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ، لَيْسَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ فَقَطْ، بَلْ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَيْضًا قَدْ ذَاعَ إِيمَانُكُمْ بِاللهِ»[20]. ما هو الإيمان الذي يقصده هنا؟ من الواضح جدًا أنه يقصد إيمان المعرفة، وهذا أوضحه بالآتي: يقول « ونحن أيضًا نؤمن لذلك نتكلم أيضًا». بماذا نؤمن؟ نؤمن بأن الله الذي «أَقَامَ الرَّبَّ، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ»[21].

الإيمان والإستجابة لدعوة الله:

لكن لماذا دعاه « روح الإيمان»، ويضعه ضمن ترتيب المواهب؟ لأنه إن كان الإيمان موهبة، والروح القدس فقط عطية، وليس إنجازًا خاص بنا، فلن يُعَاقَب غير المؤمنين، ولا المؤمنين سيُمتَدحون. لأن هكذا هي طبيعة المواهب، لا تُوزع أكاليل، ومكافأت. لأن الهبة ليست إنجاز أولئك الذين يتقبلونها، بل هي عطية اللطف والمحبة لذاك الذي يُقدمها. لذلك فقد أعطى وصية لتلاميذه بأن لا يفرحوا بطرد

١٩- رو١: ٨.

٢٠- تس١: ٨.

٢١- ١كو٦: ١٤.

الشياطين، والذين تنبأوا بإسمه، وصنعوا معجزات كثيرة، حرمهم من ملكوت السموات، لأن ليس لهم أي دالة أمام الله، بسبب أعمالهم، فقد أرادوا أن يخلصوا فقط عن طريق المواهب التي أُعطيت لهم.

إذًا فإن كان كل شيء يعتمد على الإيمان، ولا نقدم نحن أي شيء، بل كل شيء هو ثمر نعمة الروح القدس، وأن النعمة وحدها هي التي تُثبت الإيمان في نفوسنا، ونحن لن ننال إي أجر أو مكافأة، فكيف يقول الرسول بولس: « لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ»[٢٢]. لأن الإيمان العامل يعتمد على عمل وفضيلة المؤمن. لكن كيف يُمتَدح الإيمان نفسه في موضع آخر عندما يقول: «وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا»[٢٣]. فإن كان كل شيء يعتمد على نعمة الروح القدس، فكيف كلَّل الله إبراهيم أبو الآباء بالأكليل التي لا حصر لها؟ بسبب هذا الإيمان، إستحق ذلك، لأنه تجاوز كل الأمور الوقتية، وآمن بالرجاء الإلهي، دون أن يكون هناك أي رجاء إنساني؟ «فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ»[٢٤].

إذًا لماذا دعاه «روح الإيمان؟» هذا لأنه أراد أن يوضح من حيث أننا يجب أن نؤمن أولاً، ونستجيب لدعوة الله، فهذا

٢٢- رو ١٠:١٠.

٢٣- رو ٤:٥.

٢٤-رو ٤:١٨.

يعتمد على إرادتنا. لكن بعدما ننال الإيمان، نحتاج لمعونة الروح القدس، حتى نتمسك به على الدوام وبثبات، إيمان راسخ غير متزعزع. لأنه لا الله، ولا نعمة الروح القدس، تلغيان إرادتنا، بل هو يدعونا، وينتظرنا، حتى أننا بإرادتنا، ومن تلقاء أنفسنا، نأتي إلى الإيمان. بعد ذلك عندما نأتي إلى الإيمان، عندئذ يمنحنا كل معونته. لأن الشيطان، بعد قبولنا للإيمان، يأتي راغبًا أن ينزع هذا الجذر الحسن الذي للإيمان، وأن يزرع الزوان على عجل، ويهلك البذور الحقيقية النقية، وحينئذ نحتاج لمعونة الروح القدس الذي يُحيط شجرة الإيمان البازغة بكل إهتمام وعناية، مثل فلاح مُجّد ومجتهد، يُقيم داخل نفوسنا. لذلك في رسالته إلى أهل تسالونيكي يقول: «لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ»[٢٥]، مُبينًا أنه عندما تأتي إلى نفوسنا نعمة الروح القدس، لا يستطيع الشرير بكل مكائده أن يقهرنا بعد. لأنه إن لم يستطع أحد أن يقول إن يسوع المسيح هو الله إلا بالروح القدس، فبالأكثر جدًا لا يمكنه أن يحفظ الإيمان ثابتًا وراسخًا، إلا بالروح القدس فقط.

٢٥- ١تس٥: ١٩.

التمثل بالله:

لكن كيف يمكننا أن نجذب إلينا معونة الروح القدس، وأن نطالبه بالبقاء داخلنا؟ بالأعمال الحسنة، والحياة الفاضلة. لأنه كما أن نور المصباح يستمر ويحفظ بالزيت، وعندما ينفذ الزيت، ينطفيء المصباح، ويختفي النور، هكذا نعمة الروح القدس، فعندما تكون أعمالنا حسنة، ونملىء أنفسنا بأعمال البر الكثيرة، تبقى مثل شعلة تُغذيَّ بالزيت، لكن إن لم توجد أعمال البر، تنسحب نعمة الروح وترحل، الأمر الذي حدث مع العذراى الجاهلات. لأن أولئك العذارى، بعد جهد ومتاعب كثيرة، إذ لم يكن لديهن المعونة التي تأتي من الإحسان وأعمال البر، لم يتمكنَّ من أن يتحفظنَ بنعمة الروح القدس، لذلك طُردنَ من العرس، وسمعنَ ذلك الصوت المخوف «إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ»[٢٦]. الأمر الذي يُعَد أكثر فزعًا ورعبًا من الجحيم، لذلك فقد دعاهم، جاهلات. وهذا أمر مُبرر جدًا، لأنه وإن كنَّ قد إنتصرنَّ على الشهوة الطاغية (أي الشهوة الجسدية)، إلا أنهنَّ قد هُزمنَ من الأمر الأضعف (بسبب التراخي والكسل). لقد إنتصرنَ على إندفاع الطبيعة، وألجمنَ هوس الشهوة المسعور، وقمعنَ أمواج الشهوة الجسدية، وبينما لازلنَ على الأرض، عشنَ كالملائكة، وبالرغم من أنهنِّ كنِّ يحملنَ جسدًا، إلا أنهنَّ قد نافسنَ القوات غير الجسدانية في العفة، وبعد كل هذا

٢٦- مت٢٥:١٢.

الجهاد، لم يقمن بواجبهن من نحو البر بالمحتاجين والفقراء، وقد ظهرنَ بالحقيقية حمقى وجاهلات، ولذلك لم ينلنَّ الصفح. فسقوطهنَّ قد أتى فقط من الكسل والخمول، كذلك فقد إستطعنَ أن يطفئنَ أتون نار الشهوة الذي كان داخلهنَ، وجاهدنَ أكثر جدًا مما ينبغي، وعشنَ في عفة أكثر مما أمر به الرب (لأن عدم الزواج أو البتولية، ليس أمرًا ألزاميًا، بل يرجع إلى رغبة وإرادة المؤمنين). بعد ذلك وبعدما قصَّرنَ في عطائهن للفقراء، ألسنا هكذا مستحقين للحزن والأسى، طالما أنهنَّ من أجل أموال قليلة، قد ألقينَ الإكليل من فوق رؤوسهن؟ أقول هذا الكلام، لا لكي أجعل حماس العذارى اللآتي كرّسن حياتهن للرب، يفتر، ولا لأنني أرغب في أن أمحو حياة الوحدة، بل حتى لا يُجاهدنَ دون جدوى، وحتى لا يغادرن مسرح الجهاد بلا أكاليل، بعد جهد وتعب كثير، بل ومملؤين بالخجل والخزي. إن الحياة العذراوية، هي أمر حسن، وإنجاز فائق للطبيعة، لكن هذا الأمر الحسن، والعظيم، والفائق للطبيعة، إن لم يُصَاحْب بأعمال البر والإحسان نحو البشر، فمن غير الممكن أن تخطو ولا حتى عتبة غرفة العرس. أرجو أن تنتبه إلى مدى تأثير أعمال البر، وقوة الإحسان. فإن البتولية دون عمل الإحسان، لم تتمكن أن تُقدنَ أولئك العذارى الجاهلات، حتى إلى عتبة غرفة العرس. إلا أن الإحسان بدون حياة البتولية، قد قاد المحسنين في موكب إحتفالي إلى ملكوت الله الذي أُعدَّ

قبل خلق العالم. ولأن أولئك العذارى الجاهلات، لم يُظهرن برًا وإحسانًا بغنى، سمعن: « إذهبن إني لا أعرفكن». لكن أولئك الذين سقوا المسيح العطشان، وأطعموه، بالرغم من أنهم لم يعيشوا حياة البتولية، سمعوا: « تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»[٢٧]. وهذا له ما يبرره، لأن ذاك الذي عاش حياة النسك، والصوم، قد أفاد نفسه، أما الذي يُحسن إلى الآخرين، وبار بالفقراء، يصير ميناء لكل الغرقى، ومُسدِّد لإحتياجات الآخرين، ومُخفِّف لآلام الفقراء. الذي يُمتَدح بسبب تلك الإنجازات، هو فقط الذي يستطيع أن يفيد الآخرين.

ولكي تعرف أن هذه الوصايا ثمينة، وعظيمة أكثر أمام الله، فإنه عندما يتكلم عن الصوم، والبتولية، يُشير إلى ملكوت السموات، لكن عندما يُقنن لعمل البر، والإحسان، وكيف نكون رحماء وحاملين لأحشاء الرأفة، فإنه يضع مكافأة أعظم بكثير من ملكوت السموات، حين يقول: « لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»[٢٨]. لأن هذه القوانين (الخاصة بالبر والإحسان)، تجعل البشر مشابهين لله في المحبة، فعلى قدر ما يكونوا مشابهين الله، على قدر ما يهدفون إلى تقديم الخير للجميع. وهذا ما أوضحه المسيح له المجد، بقوله: « يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين

٢٧- مت٢٥: ٣٤.

٢٨- مت٥: ٤٥.

ويمطر على الأبرار والظالمين». هكذا أنتم أيضًا، فالخيرات التي لكم، إذ أنتم تستخدمونها قدر طاقتكم، لأجل تقدم ونمو كل أخوتكم، فإنكم تتمثلون بالله الذي يهب خيراته للجميع بالمساواه. عظيمة هي قيمة الحياة البتولية، لذلك أشتهي بالأكثر أن تُنظم. خاصة وأن قيمة البتولية، لا تنحصر فقط في رفض الزواج، بل في أن يكون الناسك مُحبًا للناس، وللأخوة، وله أحشاء رأفة. لأنه ماذا تفيد الحياة البتولية التي تكون مُصاحَبة بالقسوة، وما الفائدة من التقوى والوقار، بدون شفقة أو عندما يتم التعامل بقسوة وخشونة؟ ويقول للبعض: أنت لم تُحاط بالرغبة الجسدية، بل يسيطر عليك البخل ومحبة المال، لم يجذبك جمال الجسد، بل بريق الذهب، إنتصرت على أعظم مُقاوم، لكنك هُزِمت أمام ما هو أصغر وأضعف، لذلك جعل هزيمتك، مُهينة، وإن كنت قد جاهدت كل هذا الجهاد، وإنتصرت على طبيعتك، لكنك هزمت من محبة المال، واللذين بدون تعب أو جهد، إستطاع العبيد والبربر أن ينتصروا عليها.

ولأننا أيها الأحباء نعرف كل هذه الأمور، فالنسرع بكامل إرادتنا إلى ممارسة أعمال البر، والإحسان بالآخرين، المتزوجين، وغير المتزوجين، لأنه بعكس ذلك، لن نستطيع أن ننال ملكوت السموات. لأنه إن كانت حياة البتولية، بدون الإحسان وعمل البر، لا تستطيع أن تضعنا في ملكوت السموات، فهل يوجد عمل آخر يمكنه أن يُدخلنا ملكوت

السموات بدون هذا الإحسان؟ لا يوجد على الإطلاق. إذًا فلنضع الزيت في المصابيح، بكل ما فينا من قوة، وليكن هذا الزيت بوفرة، ومستمرًا، حتى نحتفظ بالنور البهي، وبفيض أيضًا. فلا ينبغي أن تنظر إلى الفقير الذي يأخذ، بل إلى الله الذي يُعوض، لا تتطلع لمن يتلقى المال، بل إلى ذاك الذي صار مسئولاً عن هذا الدين. لذلك فإن الذي يأخذ هو واحد، وواحد هو الذي يُعوِّض، لكي يحثنا الفقر وكوارث المحسن إليهم، إلى عمل الرحمة والبر بهم. فهذا الغني الذي سيُقدم الإحسان، يضمن أن سينال التعويض المضاعف. فعندما تُقدم عطاياك تكون كمن يقرض الله الذي يعِدَك بأن يرد لك هذا القرض، بالإضافة إلى أرباح كثيرة. أخبرني، مَن يتلقى وعدًا، بأنه سينال مائة ضعف، ويثق بأنه سينالها، ولا يُقدم كل ما عنده؟

إذًا ينبغي أن لا نُمسك أيدينا عن مساعدة المحتاجين، فهكذا نحن ندَّخر المال؟ لأن مَن يُريد يحفظ ويحمي أمواله، عليه أن يضعها في أيدي الفقراء، في هذه الخزينة الحصينة، والتي هي مُحصَّنة من اللصوص، والعبيد، والمجرمين، ومن كل هجوم.

فإن كنت رغم سماعك لكل هذه الأمور، تتردد في أن تُقدم مما تمتلكه، ولا تتحرك مشاعرك بسبب أنك ستأخذ مائة ضعف، ولا أمام مصائب الفقير، ولا أي شيء آخر. إذًا

فلتنظر إلى زلاتك، ولتُدرك حجم خطاياك، إفحص كل أمور حياتك، وإعرف أخطاءك بالتدقيق. فإنك حتى وإن كنت بعد أكثر قسوة من كل البشر، فمع ذلك وأنت تتحرك في كل مرة بدافع الخوف من ثقل خطاياك، مُترجيًا أن تُغفَر لك بواسطة عمل البر والإحسان، فإنك سوف تُقدم حتى جسدك، وليس فقط أموالك. فإن كنَّا عندما نُصاب بجروح، ونُريد أن نُعالج الأمراض الجسدية، فإننا لا نأسف على أي شيء من مُمتلكاتنا، حتى وإن إحتاج الأمر لأن نبيع معطفنا، حتى نُشفى من ذلك المرض، فبالأكثر جدًا إن تعلّق الأمر بالرغبة في الشفاء من أمراض نفوسنا، وإصابات أو جروح الخطية البالغة، فذلك لن يكون إلا بعمل الرحمة والإحسان، فلنفعل هذا من كل قلوبنا. وإن كان بالطبع في الأمراض الجسدية، من غير الممكن أن نتخلص من المرض، بمجرد أن ندفع المال. بل في مرات عديدة نحتاج إلى إجراء جراحة، وأدوية مُرة المذاق، وإمتناع عن الطعام، والأكثر إزعاجًا من كل ذلك، تنفيذ أوامر الطبيب. بينما في مجال الحياة الروحية، لا يحدث هذا، بل يكفي أن نضع المال في أيدي الفقراء، وعلى الفور نتنقى من كل الخطايا، دون تعب أو ألم، لأن الطبيب الذي يُعالج النفس، لا يحتاج إلى نهج أو طريقة تقنية، وإلى أدوات، ومكواه، ونار، بل يكفي أن يُريد فقط وسترحل كل الخطايا من نفوسنا، وتختفي.

أرايت كم هي قاسية وصعبة حياة النساك الذين يشتهون

حياة الوحدة، ويرتحلون إلى قمم الجبال؟ يفترشون الأرض، يلبسون الخيش، يضعون قيود في كل الجسد، يحبسون أنفسهم داخل القلالي، يجاهدون في جوع مستمر، ودموع غزيرة وسهر دائم لا يُحتمل، لكي يستطيعوا هكذا أن يطردوا القليل من خطاياهم. لكن الأمر ليس على هذا النحو فيما يخصك أنت، فمن الممكن دون أن تجتاز هذه الحياة الخشنة القاسية، أن تجوز حياة سهلة، وتحقق التقوى والورع.
أخبرني ما هو التعب، بعدما تفرحوا وتنعموا بخيراتكم، أن تُوزعوا الفائض على الفقراء، لأنه إن لم يُعطَ أجرًا، وإن لم تُحدَّد كل هذه المكافآت، أليست الطبيعة ذاتها هي كافية، أن تُقنع أكثر الناس وحشية وقسوة، أن يعطوا من الفائض حتى يُخففوا من آلام الفقراء؟ لكن عندما تكون هناك كل هذه الأكاليل والمكأفات، وغفران الخطايا الذي يتحقق بالإحسان للفقراء، فأي دفاع سيُقدمه أولئك الذين يحزنون على أموالهم ويهوون بنفوسهم إلى قاع الخطايا؟ فإن لم يُحركك شيء آخر، ويُحثك على أن تُشارك الآخرين في آلامهم، وترحمهم، ففكر في الموت الذي سيأتي سريعًا. وعندما تُفكر في أنه، إن لم تُعطِ للفقراء، عندما يفاجأك الموت دون إرادتك، سيوؤل كل مالك لآخرين، فيجب أن يجعلك هذا التفكير محبًا ومُحسنًا للفقراء. لأنه ستكون حماقة حقيقية، إن لم تُقدم للفقراء بإرادتنا، من تلك الخيرات التي سترحل عنَّا دون إرادتنا، خاصة عندما يتعلق

الأمر بالفائدة التي ستعود علينا نتيجة عمل الخير هذا. هكذا يقول الرسول بولس: « لِكَيْ تَكُونَ فِي هذَا الْوَقْتِ فُضَالَتُكُمْ لإِعْوَازِهِمْ»[٢٩]. ماذا يعني بقوله هذا؟ يعني أنك تأخذ، أكثر مما تُعطي، فأنت تُعطي أشياء مادية، وتأخذ أمورًا روحية، تُعطي مالا، وتأخذ غفران خطايا. أنت قد أنقذت الفقير من الجوع، إلا أنه قد أنقذك من الغضب الإلهي. إن مساعدة الفقراء، تعتبر تجارة رابحة تجني منها أرباح أكثر بكثير جدًا من النفقات، ونافعة للغاية. لأن النفقات تتمثل في المال المقدم. أمام الحصاد الذي يجنيه من وراء الإحسان، لا يتمثل في المال. بل في غفران الخطايا، ودالة أمام الله، وملكوت السموات. والتمتع بالخيرات التي « مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللّه لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»[٣٠]. إذًا كيف لا يكون أمر مخالف للعقل والصواب، ألا يأسف التجّار على أي شيء من أملاكهم، فبينما ربحهم لن يكون مختلف أو أفضل، بل مماثل بحسب طبيعته من جهة رؤوس أموالهم المستخدمه، نجد أن الأمر مختلف بالنسبة لنا، فبواسطة أشياء فانية ووقتيه، سنربح ليس أشياء فانية ومؤقته، بل عديمة الفناء وخالدة، سنربح خيرات، ومع ذلك لا نُظهر أي تقدير يوازي إهتمامنا بممتلكاتنا المادية. ينبغي أن لا نفكر أيها الأخوة بشكل سطحي هكذا من جهة

٢٩- ٢كو٨: ١٤.

٣٠- ١كو٢: ٩.

خلاصنا، بعدما نعرف وندرك ونفهم مثل العذارى، والمثل الآخر الذي ذُكر في مسألة النار المعدة لأبليس وأعوانه، إذ أنهم لم يُطعموا، ولم يسقوا المسيح، فلنتمسك بلهيب الروح القدس، حتى نقدم إحسانًا بغنى، وأعمال بر بالفقراء، لكي لا نتعثر في موضوع الإيمان. لأنه من ناحية الإيمان يحتاج إلى معونة ورفقة الروح القدس، حتى يبقى راسخًا، ومن ناحية أخرى الروح القدس يسكن فينا، من خلال الحياة النقية. والسلوك المتميز المستقيم. حتى أنه، إن أردنا أن يكون لنا إيمانًا ثابتًا، فيجب أن نسلك بإستقامة، لكي نجعل الروح القدس يبقى فينا، وتستمر قوته فينا. لأنه من غير الممكن لذاك الذي يحيا في الخطية، أن لا يهتز إيمانه.

الضمير الصالح:

إذًا فكل مَن يهذي ويتناول قضية القدر والمكتوب. ويشككون في الرسالة الخلاصية للقيامة، هذا كله يرجع السبب فيه إلى ضميرهم الخاطىء، وأعمالهم المظلمة، فإنهم يسقطون في هذه الهوة التي لعدم الإيمان. فالذين يلتهبون بسبب إرتفاع درجة الحرارة، يرغبون أن يتخلصوا من هذا الإختناق، فيلقون بأنفسهم في ماء بارد، وبعدما يحدث تحسن قليلاً، يعود إرتفاع درجة الحرارة بصورة أكثر قوة. هكذا الذين يحيون في الخطية بضمير شرير، ولأنهم يطلبون أن يجدوا راحة لنفوسهم، لكن دون أن يتنقوا من خطاياهم بالتوبة،

فإنهم يقبلون بإستبداد القدر، وعدم الإيمان بالقيامة. لذلك فإنهم هنا بعدما يتعزون قليلاً بأفكارهم الفاترة، سيشعلون لأنفسهم أكبر أتونًا للجحيم، إذ سيذهبون إلى هناك بسبب حياتهم غير المدققة، والعشوائية، وسيعطون حسابًا عن خطاياهم. ولكي تعلموا أن هذا الأمر حقيقي، وأن الأعمال الشريرة تؤدي إلى تحطيم الإيمان والثبات فيه، إسمع ماذا يقول الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «لِكَيْ تُحَارِبَ فِيهَا الْمُحَارَبَةَ الْحَسَنَةَ وَلَكَ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ»، الضمير الصالح، يتحقق بالحياة الحسنة، والعمال المستقيمة الصحيحة، ثم يكمل قائلاً: «الَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ، انْكَسَرَتْ بهم السَّفِينَةُ مِنْ جِهَةِ الإِيمَانِ أَيْضًا»[31]. وفي موضع آخر يقول: «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ»[32]. أرايت كيف أن أولئك لعدم إيمانهم، قد هلكوا، وهؤلاء بسبب بخلهم ومحبتهم للمال، ضلوا عن الإيمان، لأن أولئك قاوموا الضمير الصالح، وهؤلاء تمسكوا بالبخل؟ إذًا ونحن نفكر في كل هذه الأمور بالتدقيق، فالنحرص على أن نحيا حياة مستقيمة، حتى يصير أجرنا مضاعفًا، واحد لأجل الأعمال الصالحة، والآخر الذي يُقدَّم لأجل الثبات في الإيمان. لأنه كما أن الطعام هو لبنيان الجسد، هكذا هي حياة الفضيلة بالنسبة للإيمان. فطبيعة جسدنا لا يمكن أن تُحفظ وتستمر

٣١- ١تيمو١ :١٨-١٩.

٣٢- تيمو٦ :١٠.

بدون الطعام، هكذا الإيمان، لا يمكن أن يوجد بدون الأعمال الحسنة. لأن: «الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ»[٣٣].يبقى شيء واحد، يجب أن أقوله: ترى ماذا يعني بقوله «عينه»؟ لأنه لم يقل فقط « إذ لنا روح الإيمان»، بل قال: « روح الإيمان عينه». وأنا أريد أن أفحص وأبحث هذا، لكن لأنني أرى أن هناك أنهار من المعاني تنبع من هذه العبارة البسيطة، أخشى لئلا من خلال المعاني الكثيرة التي ستُطرح، بعدما نكون قد قدَّمنا ما هو نافع ومُفيد، أجعل التعليم غير نافع، مُحطمًا إياه بهذه الكثرة في طرح المعاني. لذلك أترجاكم بعدما أتوقف هنا عن الحديث، أن تحفظوا كل ما قيل بالتدقيق، أي كل ما سمعتموه عن الحياة المستقيمة، عن الإيمان وعن البتولية، عن البر بالفقراء، وعن الإحسان، إحتفظوا بالأمور الحسنة في أذهانكم، وتجاوبوا معها، حتى موعد العظة القادمة. لأنه هكذا سيكون البناء الذي أُقيم من خلال كل ما قلناه، ثابتًا لا يهتز، حتى أنه عندما تثبت الكلمات التي قلناها في أذهانكم بشكل جيد، يمكننا أن نُضيف إليها الكلمات الجديدة. الله الذي قواني حتى أخاطب محبتكم بهذا، وجعلكم راغبين أن تستمعوا إليها، اتضرع إليه أن يجعلكم مستحقين أن تأتوا بثمر من خلال أعمالكم الحسنة، بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والكرامة إلى الأبد آمين.

٣٣- يع٢: ٢٠.



العظة الثانية



العظة الثانية

روح الإيمان عينه:

أنا مدين لكم منذ وقت ليس بالقليل، أن أتكلم عن الرسول بولس، لكن ربما أنتم قد نسيتم هذا الدين، لأنه قد مرَّ وقت طويل، إلا أنني لم أنسه، بسبب الإشتياق القوي لكم. لأن هذه المحبة، تكون يقظة، وحاضره في الذهن بصفة دائمة، وكل الذين يحبون لا يحملون مَن يُحبون في قلوبهم وعقولهم فقط، بل أيضًا يتضايقون، لأجل كل ما وعدوا أن يُقدمون إليهم. بعطاء كبير، لكنهم يشعرون بأنهم لم ينجزوا هذا كما ينبغي. هكذا تفعل الأم الحنونة، إذ هي تحتفظ بما تبقى من مائدة الطعام لأبنائها، وهؤلاء الأبناء قد ينسوا، لكن الأم لا تنسى، بل بعدما تحفظه بعناية كبيرة، تضعه أمامهم، وتقوم بإطعامهم، لتسديد إحتياجهم للطعام. فإن كانت الأمهات مترفقات، وحنونات بأبناءهن إلى هذا الحد، فبالأكثر جدًا يجب أن نُظهر عناية، وإهتمام أكبر بكم على قدر ما تسمو الولادة الروحية عن الولادة الطبيعية. إذًا ما هي المائدة التي إحتفظنا بالطعام المتبقي منها، لأجلكم؟ هي تلك العبارة الرسولية التي إقتتنا بها روحيًا، والتي سكبنا جزء منها في نفوسكم، والقسم الآخر سنتمتع به في هذا اليوم، حتى لا أُثقِّل على أذهانكم

بكلام كثير. ما هي العبارة؟ هي: « فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوبِ:«آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا»[٣٤]. لكن عن أي إيمان يتكلم، هل عن الإيمان الذي يصنع المعجزات، الذي قال عنه المسيح له المجد: « لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ»[٣٥]. أم هو الإيمان الذي يحملنا على معرفة الله، والذي به نصير كلنا مؤمنين ولماذا دعاه « روح الإيمان»؟ وما هو هذا الإيمان يا ترى؟ لقد تكلمت في كل هذه الأمور من قبل، على قدر ما إستطعت، وذلك حين كلمتكم عن الإحسان،والبر بالفقراء. وتبقّى أن نتكلم عن السبب الذي لأجله قال: « روح الإيمان عينه»، لأن طول العظة السابقة، لم يسمح لنا بأن نتقدم مزيدًا من الشرح لهذه العبارة بالتدقيق المطلوب، ولهذا السبب إحتفظت بالشرح والتفصيل لهذا اليوم، والآن أتيت حتى أُسدِّد لكم هذا الدين. إذًا لماذا قال هذه العبارة « روح الإيمان عينه؟». لقد أراد الرسول بولس أن يُظهر مدى العلاقة الوثيقة بين العهد الجديد، والعهد القديم، ولذلك ذكّرنا بالعبارة النبوية، قائلاً: « إذا لنا روح الإيمان عينه»، ثم أضاف « حسب المكتوب ؟ آمنت لذلك تكلمت». هذا ما قاله داود النبي منذ سنوات بعيدة، والذي كرّره الرسول

٣٤- ٢كو٤: ١٣.

٣٥- مت١٧: ٢٠.

بولس الآن بالضبط، موضحًا بأن نعمة الروح القدس ذاتها التي ثبَّتت قوة الإيمان في داود النبي آنذاك، تفعل نفس الأمر فينا الآن. كما لو أنه يقول بأن روح الإيمان الذي تكلَّم في داود النبي، هو الذي يُنيرنا.

أين هم الآن أولئك الذين يتهجمون على العهد القديم، ويقطعون أوصال الكتاب المقدس ويُحطمون وحدته، ويقولون إن إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد؟[٣٦]. ليسمعوا الرسول بولس، كيف أنه قد سدَّ الأفواه الملحده. وألجم الألسنة المقاومة لله، وأظهر بهذه العبارة، كيف أن الروح ذاته الذي يوجد في العهد القديم، هو نفسه في العهد الجديد. إن هذين الأسمين (القديم والجديد)، يوضحان التوافق الكبير بين العهدين القديم والجديد، لأن العهد الجديد، قد دُعيَّ هكذا، حتى يتميز عن القديم، والقديم عن الجديد، كما قال الرسول بولس: « فَإِذْ قَالَ (الله) «جَدِيدًا» عَتَّقَ الأَوَّلَ»[٣٧]. فإن لم يكن الرب هو نفسه في العهدين، ما كان يمكن أن يُدعى هذا العهد جديدًا، ولا ذلك قديمًا. حتى أن هذا الإختلاف أو الفرق في الإسم، يوضح مدى علاقة الواحد بالأخر، وهذا الفارق ليس جوهريًا، بل زمنيًا، لأن الجديد يختلف عن العهد القديم في الزمن فقط،

٣٦- يقصد المانويين الذين آمنوا بأن إله العهد القديم، هو إله الشر، إذ هو رب الظلمة كما وصفوه وتُنادي المانوية بوجود مبدأين أزليين للكون، وهما غير مخلوقين، النور والظلمة، النور إله الخير، والظلمة إله الشر، والمادة بحسب تعليمهم هي الظلمة، وبناء على ذلك فهي شرًا.

٣٧- عب٨:١٣.

لكن هذا الظرف الزمني لا يخلق أي إختلاف أو عجز في السلطان الإلهي. وهذا أيضًا قد أوضحه المسيح له المجد، قائلاً: «كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُدًا وَعُتَقَاءَ»[٣٨]. أرايت كيف أن الممتلكات كثيرة، لكن السيد هو واحد؟ إذًا كما أن ذاك (أي رب البيت)، يُمكنه أن يُخرج من كنزه جُددًا وعتقاء، إذ هو رب البيت نفسه، هكذا هنا أيضًا، إله العهد القديم، والجديد، هو واحد، لأن هذا يُظهِر غناه الوفير، من حيث أنه ليس فقط يمتلك الجديد، بل أيضًا يمتلك القديم.

وحدة العهدين القديم والجديد:

الإختلاف بين العهدين، هو فقط في التسمية، ولا يوجد تعارض أو عدم توافق فيما بينهما. فالعهد القديم دُعيَّ هكذا، لأن العهد الجديد قد تأسس، فصار العهد السابق عليه، قديم. لكن هذا ليس معناه تعارض، أو عدم توافق، بل هو إختلاف في التسمية فقط، بل إنني سأقول الآتي: أنه حتى وإن كانت شرائع العهد القديم مُتباينة بشكل واضح مع شرائع العهد الجديد، فأنا أزعم أنه ولا هكذا ينبغي أن يتكلم أحد عن إله آخر. لأنه إن كان في نفس الزمن، ولنفس البشر الذين إنشغلوا بنفس الأمور، وكانوا يعيشون نفس الظروف، قد حدَّد شرائع متباينة، فبالتأكيد ربما

٣٨- مت١٣: ٥٢.

هناك قياس ما من وراء ذلك، لكن إن كانت هناك شرائع قد كُتبت لأناس، وشرائع أخرى لأناس آخرين، وفي زمن ما لأولئك، وزمن آخر لهؤلاء، بينما أولئك قد عاشوا ظروفًا مختلفة، وهؤلاء في ظروف أخرى، فما الحاجة لأن يتكلموا عن مشرعين مختلفين، منطلقين من إختلاف الشرائع؟ أنا لا أرى أي إختلاف بين العهدين، لكن إن كانوا يستطيعون أن يذكروا أي إختلاف، فليقولوه، لكنهم لا يستطيعوا. فالطبيب كثيرًا ما يُقدِم على إتخاذ خطوات علاجية مُتعارضة، لكن بدون تناقض، فقد يكوي الجرح، وقد لا يفعل ذلك، وقد يبتر عضوًا، وقد لا يبتر، ومرة يُعطي المريض دواء مُرّ المذاق، ومرة دواء حلو. وهذا الذي يحدث يبدو مُتعارضًا، لكن القصد واحد، لأنه يرمي إلى هدف واحد، هو صحة المريض. إذًا كيف يكون غير معقول ولا مقبول أننا لا نلوم الطبيب الذي يُمارس أمور مُتعارضة في نفس الجسد، ونلوم الله لأنه أعطى شرائع مُتباينة لأناس مختلفين عاشوا في زمن مختلف؟

يتضح مما سبق، أن الشرائع وإن كانت مُتباينة، إلا أنه لا ينبغي نُدين الله، فهي ليست مُتعارضة، بل فقط متباينة فيما بينها، ولنفحص هذه الشرائع، وسنرى هذا. يقول: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ»، هذا كان شريعة العهد القديم، فلنرى شريعة العهد الجديد، ماذا تقول: « وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ

لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ... وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ»[٣٩].
أخبرني، هل هذه القوانين متعارضة؟ ومَن من الناس حتى وإن كان على درجة كبيرة من السذاجة، يستطيع أن يقول هذا؟ لأنه إن كان شريعة العهد القديم قد حرَّمت القتل، وشريعة العهد الجديد قد سمحت به، لكان من الممكن القول أن هناك تعارض فيما بينهما، لكن لو كان القديم قد حرَّم القتل، والجديد قد حرم الغضب أيضًا، فإنه يكون مكملاً للقديم، وليس رافضًا له. لأن الشريعة القديمة قد إستأصلت ثمرة الشر، أي القتل، أما الجديدة فقد إقتلعت الشر من جذوره، أي الغضب، الشريعة القديمة أوقفت تيار الشر، أما الجديدة فقد إنتزعت مصدر الشر ذاته. لأن أساس وجذر القتل، هو السخط والغضب. إن الشريعة القديمة مهَّدت الطريق إلى الحياة الروحية النقية، والجديدة أكملت ما قد نقص، أي تعارض يوجد هنا، عندما تقطع الواحدة ثمرة الشرور، والأخرى تقطع مصدر الشرور؟ إن الشريعة القديمة نقَّت الأيدي وغسلتها من الدم، والجديدة قد حرَّرت وخلَّصت القلب ذاته من الأفكار الشريرة. كل هذا يقنعنا بأن كلتا الشريعتين متوافقة فيما بينها، وليس بينهما أي تعارض. وهذا ما أراد أعداء الحقيقة أن يقلبونه ويشوّهونه، دون أن يدروا بأنهم يلقون هكذا بإتهام كبير لإله العهد

٣٩- مت٥: ٢١، ٢٢.

الجديد، ودون إكتراث. لأن هذا التجديف، والكلام غير التقي الموجه إلى الله، سيرتد عليهم، وسيسقط فوق رؤوس أولئك الذين يضطروننا أن نتكلم بشأنه، إذ يقررون كيف أنه قنَّن بشكل غير ملائم الأمور الخاصة بخلاصنا، كيف؟ هذا ما سأتكلم فيه. إن النمو النفسي الذي صار من خلال العهد القديم، يُشبه التغذية باللبن، ولكن الحياة الروحية التي تُقدم من خلال العهد الجديد، فتشبه الطعام الذي للبالغين، ولا أحد يقدم لإبنه طعامًا يحتاج للهضم، قبل أن يُغذّيه باللبن. لكن ما كان لإله العهد الجديد أن يفعل هذا، إن لم يكن هو نفسه الذي أعطى شريعة العهد القديم. وليس هذا فقط، بل إنهم ينسبون إلى الله إتهامًا أكبر. فإن كان حقًا قد أتى ليرعى جنسنا البشري بعد أكثر من خمسة آلاف سنة، وإن لم يكن هو نفسه الذي رتَّب كل ما له علاقة بخلاصنا، بواسطة الأنبياء، والآباء، وأناس العهد القديم الذين عاشوا بالفضيلة، بل هو إله آخر، لا علاقة له بهذا الإله، فإنه سيكون قد إهتم بنا متأخرًا جدًا، كما لو كان قد إستفاق وغيَّر رأيه. الأمر الذي سيكون غير لائق، ليس فقط بالله، بل ولا بأي إنسانًا بسيطًا، فطالما أنه ترك هؤلاء البشر يهلكون، خلال فترة زمنية طويلة، هكذا يكون متأخرًا جدًا في رعايته لعدد قليل من البشر في السنوات الأخيرة.

أرايت كمّ الأمور غير اللائقة التي ينسبها هؤلاء إلى الله، ويَّدعون بأن مُشرّع العهد الجديد إله آخر مختلف عن مُشرّع العهد القديم؟ لكن كل هذا يَبْطُل إن آمنا، أن إله العهدين القديم والجديد، هو واحد. لأنه سيتضح بأنه يُرتب كل ما له علاقة بنا، بشكل منطقي للغاية، قديمًا بواسطة الناموس، والآن بواسطة النعمة، وليس حديثًا ومؤخرًا، لكنه يعتني بنا منذ البداية، منذ أن خلقنا. وحتى نسد أفواههم أكثر فلنعرض لأقوال الأنبياء، والرسل الذين صرخوا بصوت مرتفع بأن مُشرّع العهدين القديم والجديد هو واحد. إذًا ليظهر إرميا النبي الذي تقدَّس من بطن أمه[40]، وليبيّن لنا هذا الأمر بوضوح. ماذا يقول إرميا النبي الذي بشَّر حسب وصية الله له، يقول الرب: « وأقطع معكم عهدًا جديدًا ليس كالعهد الذي قطعته مع أباءكم»[41]. فذاك الذي قطع مع هؤلاء عهدًا جديدًا، هو نفس الإله الذي أعطى العهد القديم. وبذلك يُلجِم أفواه أتباع بولس الساموسطائي، الذين رفضوا أزلية الإبن الوحيد الجنس. لأنه إن لم يكن موجودًا قبل أن يُولد من العذراء القديسة مريم، ولا قبل أن يتجسد، فكيف لغير الموجود، أن يشرِّع؟ وكيف قال: «وأقطع معكم عهدًا جديدًا ليس كالعهد الذي قطعته مع أباءكم؟». وكيف قطع عهدًا مع أباءهم، إن لم يكن له وجودًا أزليًا، بحسب

٤٠- إر١:٥.

٤١ إر٣١:٣١-٣٢ (س).

إدعائهم؟ لكن الشهادة النبوية فيها ما يكفي للوقوف في مواجهة اليهود، وأتباع بولس الساموسطائي، المأسورين بنفس الأفكار المريضة. وأيضًا لكي يستد فم المانويين، لنستشهد بالعهد الجديد، لأن العهد القديم ليس لديه أي إعتبار لديهم، حتى لا أقول أنهم يزدرون بالعهد الجديد أيضًا، ويوجهون له إهانة، طالما أن هذا العهد يُقدرونه ظاهريًا، إذ أنهم فصلوه بطريقة ما عن العهد القديم، وأضاعوا مكانته وقيمته. لأن نبوات الأنبياء التي جاءت بالعهد القديم، تُشكِّل دليلاً واضحًا لحقيقة نصوص العهد الجديد، والتي إذ حادوا هؤلاء عنها، فإنهم لا يشعرون بأنهم يَخزون الرسل أكثر من الأنبياء. لأنه من ناحية هم بذلك يحتقرون ويزدرون بالعهد الجديد، ومن ناحية أخرى، يكونوا قد قطّعوا أوصاله. لكن هذه النصوص التي إستخدموها كانت من القوة بمكان، حتى أنها من خلال ما تبقى منها، قد جعلت من السهل أن تُظهِر نواياهم الشريرة، لأن هذه الأجزاء التي إنتُزعت تُنادي وتصرخ، إذ هي تُريد أن تعود إلى إتحادها بالأقسام الأخرى التي كانت في وحدة معها.

إذًا كيف ستُبرهن على أن مُشرع العهدين القديم، والجديد، هو واحد؟ نُبرهن من خلال تلك الكلمات الرسولية التي بقيت لدى هؤلاء، التي لدى المانويين، والتي تبدو أنها تتهم الناموس القديم، لكن تشير إليه كثيرًا جدًا ، وكيف أنه

إعلان إلهي مُعطى من فوق ونافع. وهذا قد صنعته حكمة الروح القدس قصدًا، حتى أن المتهمِين للناموس، بسبب معرفتهم السطحية بكلمة الله، ينجذبون ويقبلون الدفاع المكتوب عن الناموس، دون إراداتهم، حتى يحصلون على الدليل القطعي الذي سيقودهم إلى الحق، إن كانوا بالطبع يرغبون في أن يتطلعوا نحو الحقيقة. أما إذا أصرّوا على البقاء في عدم إيمانهم فلن ينالوا الصفح بعد، طالما أنهم في الأمور التي يبدو فيها أنهم مؤمنون، يُظهرون عدم إيمان، مُبطلين هكذا خلاصهم.

الظلال والحقيقة:

إذًا أين يقول العهد الجديد أن المشرِّع واحد للعهدين؟ في مواضع كثيرة، لكننا سنأتي مباشرةً على تقديم الجزء الذي حُفظ حتى اليوم لدى المانونين، وهو ما قاله الرسول بولس: « قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ»[٤٢]. لقد سمع الهراطقة أنه رُزِق بإبن من الجارية، وعلى الفور إختطفوا هذه العبارة فرحين، لأنهم إعتقدوا بأنه بذلك يُدين الناموس، وبعدما أقتطعوا هذه العبارة عن سياق النص، إحتفظوا بها، لكي يدعموا أفكارهم المنحرفة. وحتى

٤٢- غل٤: ٢١، ٢٢.

نُثبت من خلال هذا الكلام، أن المشرع واحد. فبعدما قال: « كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ» أضاف: « وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ»[٤٣]. بمعنى أن كل ما حدث في العهد القديم ، كان ظلالاً لكل ما تحقق في العهد الجديد. لأنه بينما كان هناك زوجتين، هكذا هنا أيضًا يوجد عهدين. إنه يظهر مبدئيًا مدى القرابة التي تربط بين العهدين القديم والجديد، طالما أن أحداث العهد القديم كانت ظلالاً، لما تحقِّق في العهد الجديد. فضلاً عن ذلك فإن الظلال ليست ضد الحقيقة، بل في قرابة معها. فإن كان إله العهد القديم في عداء مع إله العهد الجديد، ما كان ليسبق ويصوّر إمتياز العهد الجديد من خلال هاتين الزوجتين (سارة وهاجر). فإن كان المشرع قد صوَّر الوضع على هذا النحو، لما كان لبولس أن يستخدم هذا التصور وهذه الظلال. لكن في حالة ما سيدعون أنه طالما قد صنع هذا مُظهرًا تسامح تجاه ضعفات اليهود، فكان ينبغي عليه حين بشَّر اليونانيين، أن يستخدم صورًا من الواقع اليوناني، ولا يستشهد بروايات من الأحداث اليونانية. إلا أن الرسول بولس لم يفعل ذلك، وهذا له ما يُبرره للغاية، لأن الأحداث اليونانية، ليست لها أي علاقة بالحقيقة وليس هناك أي شيء مشترك يجمعها بالحقيقة، أما ما حدث في العهد القديم، فهو عبارة عن نبوات، ونواميس الله، لذلك هناك علاقة قوية جدًا بين العهدين القديم والجديد.

٤٣- غل٤:٢٤.

زوجتان وعهدان:

إذًا فإن ما سبق يُبيّن بأن التوافق بين العهد الجديد والقديم كبير جدًا، وأنه ليس العهد القديم أقل من العهد الجديد، ودليل ذلك هذه القصة (أي زوجتي إبراهيم). لأنه بينما كان هناك زوجتين ينتسبان إلى رجل واحد، هكذا الآن يوجد عهدان لمشرع واحد. لأنه، إذا كان هناك إلهًا للعهد القديم، وإله آخر للعهد الجديد، فإن إستخدام الرسول بولس لهذه الرواية، سيكون بلا هدف، لأنه لم يكن لسارة زوجًا، ولهاجر زوجًا آخر، بل كان للأثنين زوجا واحد، لأنه عندما يقول: «وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان»، فهو لا يقل شيئًا آخر، سوى أن المشرع للعهدين هو واحد فقط، كما كانت سارة، وهاجر زوجتين لرجل واحد، وهو إبراهيم بيد أنه يقول الواحدة كانت جارية، والأخرى حرة. ماذا يعني بهذا الكلام؟ لأن المشكلة حتى الآن كانت تتلخص في ما إذا كان المشرع للعهدين القديم والجديد واحد. إذًا ليقبلوا هذا أولاً، ثم بعد ذلك نُجيبهم على السؤال. لأنه إن كان قبولهم لهذا الأمر، يجعلهم يؤمنون، لإنهار كل تعليمهم. لأنه عندما يثبت أن المشرع للعهد القديم هو نفسه مُشرع العهد الجديد، وهو كذلك بالفعل، سينتهي كل خلافنا مع هؤلاء. وحتى لا يُزعجكم هذا الأمر، لننتبه جيدًا للعبارة، لأنه لم يقل إن الواحدة عبدة، والآخرى حرة، بل

قال: «من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر». لكن هذه التي ولدت في العبودية، ليست مع ذلك عبدة، ورغم أنها أنجبت أبناءها في العبودية، إلا أن هذا الأمر لا يشكّل ثقلاً عليها ولا على أبناءها الذين ولدتهم. لأنهم حُرموا من الحرية بسبب شرورهم، وسقطوا من الأصل النبيل، فعاقبهم الله كعبيد جاحدين، وجعلهم يعيشون في خوف مستمر، وتوعّدهم بالعقاب. يُذَكر في هذا السياق أن كثيرًا من الآباء حتى اليوم أيضًا، لا يعاملون أبناءهم، معاملة الأبناء، بل بالخوف (أي إخافتهم) الذي يُناسب العبيد، والذنب لا يُنسب للوالدين، بل إلى الأبناء الذين أجبروا الوالدين الأحرار، أن يُعاملونهم كعبيد. هكذا كان الأمر آنذاك، فقد عامل الله ذلك الشعب بكثير من الخوف، وكثير من العقاب، بقدر ما هو مُبرَّر معاملة العبد الجاحد. لكننا لا نستطيع من أجل هذا السبب، أن نتهم الله، والناموس، بل نُدين اليهود الذين ثاروا، وكانوا في إحتياج للجام قوي. ومع ذلك فهناك كثيرين في العهد القديم، لم يُعَاملوا بهذه الطريقة، مثل: هابيل، ونوح، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وإيليا وإليشع، وكل مَن أشتهى حياة الفضيلة، كما ظهرت في العهد الجديد. فهؤلاء لم يصبحوا على ما كانوا عليه من فضائل بالخوف والعذابات، ولا بالوعيد والعقوبات، بل بالمحبة الإلهية، والشوق الملتهب نحو الله. ولم يحتاجوا إلى أوامر، ولا وصايا ونواميس، حتى يُفضّلوا

حياة التقوى والفضيلة، ويتجنبوا الشرور، لكنهم كرجال أحرار، ذو أصل نبيل، بعدما أدركوا إستحقاقهم (للحياة الأبدية)، تقدموا بدون خوف أو عقاب، تجاه معسكر الفضيلة. لكن اليهود الآخرين، فلأنهم عادوا إلى إرتكاب الشرور، إحتاجوا إلى اللجام الناموسي. أي عندما صنعوا العجل الذهبي، وعبدوه، عندئذ سمعوا: « الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[٤٤]. وأيضًا عندما قتلوا، وأفسدوا النساء شركائهم في الإنسانية، سمعوا: « لا تقتل لا تزني»، وكل الوصايا المشابهة.

ولم يكن هذا خطأ الناموس، من حيث أنه أثار الآما، وقرَّر عقوبات، وعذابات، وأنه عَاقَب اليهود كعبيد جاحدين، بل إن في هذا ثناء كبير على الناموس، لأنه إستطاع بقسوته أن ينقذ أولئك الذين إنزلقوا إلى أقصى درجات الشر، من الخطية، ويُلطّفهم أو يهدأهم، ويجعلهم خاضعين لنعمة الله، ويقودهم إلى الحياة الفاضلة التي للعهد الجديد. لأن الروح عينه، هو الذي أدار ودبَّر كل ما حدث في العهدين القديم والجديد، وإن كان بطريقة مختلفة، لذلك قال الرسول بولس: «فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلّمت».

٤٤- تث ٦: ٤.

البنوة لله:

ولم يتكلم بذلك فقط عن هذا الروح، بل تكلّم بحديث آخر أكثر أهمية، والذي أرغب الآن في الحديث عنه. لكن لأنني أخشى لئلا بهذه الإضافة، تنسوا الكلام اللاحق، فإنني سأحتفظ به لحديث آخر، بعدما أترجاكم أن تتذكروا كل كلامنا الذي قيل في كلمة اليوم بأكمله، وأن تحفظوه بعناية وحرص، وتطبقونه في حياتكم الفاضلة، وتُوحدوه بنقاوة العقائد الإيمانية: « لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ»[٤٥]. لأنه لن تنتفع من العقائد المستقيمة، إن كانت حياتنا غير تقوية وغير أخلاقية، مثلما أيضًا أننا لن نربح شيئًا من حياة الفضيلة، إن كان إيماننا غير حقيقي. وحتى ننتفع منفعة كبيرة، لنؤمن أنفسنا بحياة الفضيلة، وبالإيمان الحقيقي، ولنقدم ثمارًا غنية في كل الأمور الأخرى، بل وأن نقدم بالإضافة إلى ذلك، كل أعمال البر والإحسان بالمحتاجين، والذي حدثتكم عنه قبلاً، برغبة قوية، وعطاء غني، لأن: « مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ»[٤٦]. ماذا يعني بقوله « بالبركات»؟ يعني بوفرة كبيرة وهنا في الأمور الحياتية، والزرع، والحصاد، يحدث لنفس البذور لأن مَن يزرع، يلقي في الأرض قمحًا، أو شعيرًا، أو أي شيء

٤٥- ٢تيمو٣:١٧.

٤٦- ٢كو٩:٦.

مُشابه، ومَن يحصد، يحصد من نفس البذور. لكن ليس الأمر هكذا بالنسبة للإحسان، بل الأمر مختلف. لأنك حين تُعطي فضة تحصد دالة أمام الله، تُعطي مالاً، وتنال غفران خطايا، تقدم خبزًا وملابس، وبدلاً من ذلك تنال ملكوت السموات، وخيرات لا تُحصى، والتي لم تراها عين، ولم تسمع به أذن، ولم تخطر على بال إنسان. والأهم من كل هذه الخيرات، هو أنك ستصير على مثال الله، على قدر ما هو ممكن للإنسان أن يصبح هكذا. فعندما تكلّم المسيح، عن الإحسان، والبر بالفقراء، أضاف: « **لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ»[٤٧]. أما أنت فلا تستطيع أن تُشرق الشمس، أو تُنزل المطر، ولا أن تُحسن إلى بشر كثيرين، لكن يمكنك أن تُدير أموالك في عمل البر والإحسان، وستصبح على مثال الله الذي يُشرق الشمس، على قدر ما هو ممكن للإنسان أن يتمثل بالله.

إنتبهوا جيدًا لما قيل، يقول: « على الأشرار والصالحين». وأنت أيضًا عندما تصنع إحسانًا، لا تفحص حياة الآخر، ولا تطلب سببًا يُبرر تصرفك نحوه. لذلك دُعىَ إحسانًا، لكي يُقدَّم لغير المستحقين، لأن مَن يُعطي إحسانًا للخاطىء، يُقدمه لا لمن يسلك بالفضيلة، لأن هذا مستحق للمديح والأكاليل، لكن الخاطىء يحتاج إلى الإحسان والصفح. حتى أننا بهذا،

٤٧- مت٥:٤٥.

سنتمثل بالله، أن أعطينا للأشرار. تأمَّل في عدد السكَّان الذين يقطنون المسكونة، كم منهم شتامين، منحرفين، مُخادعين مملؤين من كل شر، لكن الله يُطعم هؤلاء كل يوم، مُعلمًا إيانا أن نصنع الخير بالجميع. إلا أننا نصنع العكس تمامًا، لا نتأفف ونتقزز فقط من الأشرار والخطأة، بل وأن إقترب منَّا أشخاص فقراء، لكنهم في صحة جيدة، إما طلبًا للصدقة أو لأنهم بدون عمل، أو إلتماسًا لكرمنا، فإننا نجعلهم يقفون في شكل صفوف، نتهكم عليهم، ونوجه لهم الإهانات، والسخرية التي لا حدود لها، ثم نطردهم بأيدي فارغة، ونستهزأ بهم، بسبب أنهم في صحة جيدة. ونسخر من كسلهم، حتى نُبعدهم عنّا، بل ونحمّلهم المسئولية. لكن أيها الإنسان، هل هذا هو ما أُمرت أن تفعله، أن تدين، الفقراء، وتشاجر معهم؟ إن الله أوصاك أن تدفع عنهم الفقر، لا أن تُهينهم، وتُحاسبهم. لكن هل تُريد أن تصحح، وتُصلح من صفات هذا الإنسان المتراخي، وتنقذه من البطالة، وتُقدم له عمل؟ فلتعطيه أولاً، وتُحسن إليه، ثم عاتبه بعد ذلك، حتى لا يمضي ويعتبرك قاسيًا، ويتهمك بالوحشية، بل ينبغي أن يعتبرك كمن يبدي ملاحظات، بسبب إهتمامك، وحنوك. لأن الفقير يكره وينفر، ولا يستطيع أن يتحمل النظر إلى الذي لا يعطي، الذي يكتفي بالإدانة فقط. لأنه يعتقد كيف أنه يدين، لا بسبب إهتمامه وعنايته به، بل لأنه لا يُريد أن يُعطي، الأمر الذي هو بكل تأكيد، حقيقي.

لكن ذاك الذي يلوم، بعدما يعطي أو يقدم الإحسان، يجعل النصيحة مقبولة، لأنه يلوم بسبب إهتمامه، لا بسبب القسوة والوحشية. هكذا فعل الرسول بولس، لأنه بعدما قال: « إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا »[48]. أضاف: «أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلاَ تَفْشَلُوا فِي عَمَلِ الْخَيْرِ»[49]. لكن يبدو أن هاتين الوصيتين متعارضتين. لأنه إن كان لا ينبغي للعاطلين أن يأكلوا، فكيف تُوصى أن يُحسنوا إليهم؟ لكنهما ليس كذلك من نحو الله. لأنه لهذا يقول: « إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا »، وليس لأن يمنع أولئك الذين يريدون أن يقدموا، عن فعل الإحسان، بل لكي ينتشل أولئك الذين يعيشون في تراخي وكسل من البطالة، فحين يقول: «فلا يأكل أيضًا»، فإنه يرغب في أن يُقيم أولئك للعمل، بالتهديد. لكنه عندما يقول: «فلا تفشلوا في عمل الخير»، فإنه يوجّه الآخرين نحو عمل الخير والإحسان، مُظهرًا مدى نفع النصيحة أو المشورة. وحتى لا يُمسك البعض أيديهم عن مساعدة الفقراء، عندما يسمعون التهديد الموجه للكسالى الذين لا يعملون، فإنه يدفع هؤلاء لعمل الخير، قائلاً: « فلا تفشلوا في عمل الخير»، حتى أنه عندما تُعطى للعاطل فإنك تعمل الخير.

وهذا قد أوضحه بالكلام اللاحق، لأنه عندما قال: «

٤٨- ٢تس٣: ١٠.

٤٩- ٢تس٣: ١٣.

وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ»[50]. وبالرغم من أنه قطعه من شركة الكنيسة، إلا أنه أعاده مرةً أخرى إلى شركة أولئك الذين قطعوه من حياة الشركة هذه، لذلك أضاف: « وَلكِنْ لاَ تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ»[51]. مثلما قال: « إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا »، إلا أنه أوصى كل مَن يستطيع المساعدة، أن يهتم كثيرًا بهؤلاء. هكذا هنا أيضًا، عندما قال: «لاتخالطوه». لكنه لم يمنع أولئك أن يهتموا به، بل إنه قد حثهم بشدة على مساعدته، قائلاً: «لا تحسبوه كعدو بل إنذروه كأخ». توقف عن مصاحبته، لكن لا تتوقف عن الإهتمام به، أقطعه من الشركة، لكن لا تتوقف عن محبتك له. هذا ما أوصى به أن يكون في إطار المحبة له، حتى يصبح أفضل بقطعة من الشركة، ولكي يعود مرةً أخرى إلى باقي الجسد (أي الكنيسة). لأن الآباء أيضًا يطردون الإبناء خارج البيت، لا لكي يبقون على الدوام في الخارج، بل لكي يصيروا بهذا التصرف أكثر تعقلاً، ويعودوا مرة أخرى إلى البيت. لقد تكلمنا بما يكفي عن الذين يُدينون الفقراء بالتراخي والكسل.

٥٠-٢تس٣: ١٤.

٥١-٢تس٣: ١٥.

معنى المحبة:

ولكن لأن كثيرين قد وجدوا سببًا آخر للتنصّل من القيام بواجبهم، حتى يبرروا مواقفهم، وهم مملؤون بالقسوة والوحشية، فهناك إحتياج لأثبات أن هذا الأمر غير لائق على الإطلاق، لكي لا ندعهم يدافعون عن أنفسهم، بل لكي نقنعهم أن يتركوا هذا الدفاع غير المجدي الذي لا وجود له، فإن الدفاع الحقيقي الذي يجعلنا نقف أمام عرش المسيح، هو في الأعمال الحسنة المستمرة. إذًا ما هو هذا الدفاع غير النافع والفاتر الذي للكثيرين؟ يقول لديَّ أبناء، وأعتني بأسرتي، وأهتم بالزوجة وإحتياجاتها، وأنفق الكثير من أجل تغطية إحتياجتي، لذلك فأنا لست في وضع يسمح لي بالاحسان لأولئك الذين يطلبونه. ماذا تقول، أفلانك تعتني بأبناء، لذلك لا تُحسن لأولئك الذين يسألونك صدقة؟ إلا أنه، يجب عليك أن تُحسن إلى الفقراء، لأجل أبنائك وحمايتهم، ولكي تجعل الله، بمال قليل، أن يتراءف عليك، وهو الذي يعطيك هذا المال، وحتى يكون حاميًا لهم بعد إنتقالك، وتجتذب لهم، عناية سماوية جزيلة، فلتنفق من مالك على الفقراء، لأجل الله. ألم ترى أن كثيرين من الأغنياء، والنبلاء الذين ينتمون للأسرة المالكة، قد تركوا وصايا وكتبوا فيها أن جزء من ثروتهم هو للفقراء، أي أشركوهم مع أبنائهم في الميراث، ليس لشيء آخر، سوى فقط أن ليؤمنوا لأبنائهم

العناية السمائية، بأموال قليلة؟ وهذا قد فعلوه دون أن يعرفوا كيف سيتصرف أولئك الذين صاروا شركاء في الميراث تجاه أبناءهم، بعد موتهم؟ لكن أنت يا مَن تعرف معنى المحبة تجاه البشر، ومدى صلاح سيدك، ألا تجعل للفقراء نصيب في وصيتك؟ ألا تجعلهم شركاء لأبنائك في الميراث؟ وكيف يكون ممكنًا لمن لا يفعل ذلك أن يكون أبًا محبًا لأبنائه؟ لأنك لو كنت تُحبهم أترك لهم وصية، يكون اللّه هو المسئول عما فيها. هذا هو ميراثهم الكبير، وهذه هي زينتهم الحقيقية، وأمانهم الأكيد. أشرك الفقير في ميراثك حتى يضعك اللّه في رفقة أبنائك في ملكوت السموات. هذا الوارث هو نبيل، مُحب للناس، نافع، قوي، وغني، حتى أنك لا تستطيع أبدًا أن تتردد أو تتحير في إشراكه. لذلك فإن عمل الإحسان، يُسمىَّ زرع أو بذرة، لأن هذا الأمر ليس إنفاق، لكنه دخل. فأنت عندما تنوي أن تزرع، لا تُلقي بالاً في شأن المخازن التي ستفرغ من الحبوب القديمة، لكنك تهدف إلى تحقيق الثمار المستقبلية التي ستجنيها عند الحصاد، وهذا بالطبع دون أن تعرف كيف ستؤول الأمور بالنسبة للزرع. لأن أمراض النبات، والبرودة الشديدة، والجراد، والأحوال الجوية غير المستقرة، وأمور أخرى كثيرة من الممكن أن تقضي على الرجاء من تحقيق ثمر أو إنتاج في المستقبل. لكن عندما تنتوي أن تزرع في السماء، حيث لا توجد أجواء غير مستقرة، ولا مكان للأحزان، ويبطل كل

دافع لإرتكاب الشرور، وكل حجة لتدبير المكائد، فهل تتردد، وتتجنب عمل الخير والإحسان؟ وأي صفح ستنال، عندما تزرع في الأرض بحماس، وبرغبة كبيرة، بينما يسود عليك التردد عندما تفكر في إعطاء شيء وتضعه في يد الله. لأنه إن كانت الأرض ترد لك ما بذرته فيها، ثمارًا كثيرة، فبالأكثر جدًا، يد الله التي إستقبلت منك هذا الإحسان، ستردّه لك بوفرة.

إذًا ونحن عارفين بهذه الأمور، ينبغي أن لا نعطي أهمية للنفقات، عندما تقدم إحسانًا، بل نهتم بالعائد الذي سنحصل عليه في المستقبل، والمنفعة الآنية. لأن الإحسان وعمل الخير لا يصير فقط، سببًا في أن تربح ملكوت السموات، بل أيضًا يجعل حياتنا الحاضرة، آمنة، وثرية. ومَن يقول هذا الكلام؟ الرب نفسه الذي يعطيها. لأنه يقول إن مَن يعطي للفقراء أو يترك بيوتًا أو حقولاً لأجلي إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية[٥٢]. أرايت كيف أنه في هذه الحياة، والحياة الأخروية، يعطينا الله مكافأت غنية؟ إذًا يجب أن لا نتردد ولا أن نؤجل بل أن نثمر في عمل الإحسان كل يوم، حتى تصير محاولاتنا في هذه الحياة، مُباركة، وأن نربح حياة الدهر الآتي بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والكرامة إلى الأبد آمين.

٥٢- مر ١٠: ٣٠.

العظة الثالثة



العظة الثالثة

كنوز الروح القدس:

لقد تناولنا في العظة السابقة، وما قبلها، عبارة رسولية واحدة، وجعلنا كلامنا منصبًا على تفسير هذه العبارة « فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلّمت». واليوم سنتوقف عند هذه العبارة، وهذا أنا أفعله حتى تنتفعوا أنتم لا لكي أظهر أنا. لأن هذا الموضوع قد إستحوذ عليّ مرة أخرى، لا لكي أظهر أمامكم بإعتباري الحكيم، كثير الخبرة والمعارف، بل لكي أكشف لكم حكمة الرسول بولس، وأفتح شهيتكم لسماع هذا الكلام. لأنه من الواضح أن عمقه الروحي يكون أفضل، عندما يُولد لنا من عبارة واحدة، نهر غني من المعاني. وأنتم أيضًا لو علمتم أنه من خلال كلمة رسولية واحدة، يمكن للمرء أن يُثمر بغنى ووفرة، ويقتني حكمة لا يُعبَّر عنها، فإنكم لن تَعبروا على رسائله هكذا بسطحية وعدم تدقيق، بل ستتحركوا مُقتاتين على الرجاء بأنكم ستتوقفوا على كل عبارة موجودة داخل الرسائل لتكشفوا معناها وأهميتها.

لأنه إذا كانت عبارة واحدة فقط قد أفرزت لنا ثلاث عظات، فكم من الكنوز ستتدفق لنا لو تناولنا مقطعًا

كاملاً، وتعمقنا في فهمه بالتدقيق؟ وبناء على ذلك، ينبغي أن لا نتوقف، قبل العودة إلى كل العبارات الإلهية. لأنه لو كان أولئك الذين يحفرون الأرض، حتى يستخرجون الذهب، قد إستخرجوا الكثير منه، فإنهم لن يتوقفوا حتى يُخرجوا كل ما وجدوه، فبالأكثر جدًا ينبغي علينا نحن إن نظهر شوقًا وإهتمامًا، تجاه البحث في العبارات الإلهية، لأننا نحفر ونستخرج الذهب، لكن ليس المادي المحسوس، بل الذهب الروحي. فنحن لا نعمل في المعادن التي تُستخرج من باطن الأرض، بل في كنوز الروح القدس. ورسائل القديس بولس هي كنوز وينابيع لا تنضب. وهي خامات متنوعة، لأنها تُعطينا كنوزًا ثمينة أكثر قيمة من الذهب، وهي بالحق ينابيع متدفقة، لأنها لا تجف أبدًا، وبقدر ما تأخذ منها، على قدر ما تنساب مرة أخرى أكثر فأكثر، وهذا يُظهره الزمن الذي عَبَرَ بكل وضوح. لقد عاش القديس بولس قبل خمسمائة عام، وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، فإن كثيرين من الكتَّاب، والمعلمين، والباحثين، قد أخذوا الكثير من رسائله، ومع ذلك، فإن كنوزها لم تفرغ. هذا الكنز غير مُدرك للأحاسيس، ولذلك لا يُستنفذ بالرغم من التنقيب في منجمه، بل إنه يفيض ويتزايد، ولماذا أشير إلى السابقين، فكم عدد الذين سيأتوا بعدنا، وعدد الآخرين الذين سيأتوا بعدهم، ممن سيأخذون من هذا النبع، ومع ذلك لن يتوقف عن الجريان، وهذا الكنز لن ينقص،

لأن هذه الينابيع (الرسائل)، روحية، وبحسب طبيعتها، لا تُستَنفذ أبدًا. وما هي هذه العبارة الرسولية والتي في حديثي السابق، كلمتكم عنها؟ هي الآتي « فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت».

فقد تحدثنا قبلا عن: لماذا قال « روح الإيمان عينه؟»، ووجدنا سببًا واحدًا، وكان هذا لكي نُثبِت مدى التوافق بين العهدين القديم والجديد. لأنه بالحق عندما يتضح أن روح الإيمان عينه هو الذي حرَّك لسان داود النبي حتى يقول: « آمنت لذلك تكلَّمت»، ويجعل نفس الرسول بولس تسمو هكذا وترتفع، فمن الواضح جدًا أن هناك قرابة وتوافق بين الأنبياء والرسل، وأن التوافق والتطابق بين العهدين القديم والجديد هو حتمي ومؤكد. لكن وحتى لا أُرهقكم، مكررًا نفس الكلمات، لنتقدم في حدثنا لنتكلم عن السبب الآخر، الذي لأجله قال: «روح الإيمان عينه»، لأنني وعدتكم أن أذكر سببًا آخر لهذه العبارة الرسولية. لكن يجب أن تستعدوا لتلقي الشرح، لأن المعنى الذي سأقدمه، هو عميق، ويحتاج أو يتطلب عقولاً قوية، ونفوسًا حسَّاسة. لذلك أترجاكم أن تتابعوا هذا الشرح الذي سأقوله الآن، كلمة كلمة. لأنه إذا كان التعب والجهد، يتعلق بي، فالمنفعة هي لكم، ولكي نتكلم بصورة أكثر وضوح، فإن الجهد ليس هو جهدي أنا، بل عطية الروح القدس. أي مثل

إعلان الروح القدس للحقيقة، فإنه لا المتكلم، ولا السامع، يتعب في شيء لأن السهولة في الإعلان عن الحقيقية، هو أمر كبير للغاية. إذًا فلتتابعوا الشرح كلمة، كلمة، لأنه حتى وأن تابعتم أكثر أجزاء الحديث، لكنكم تغافلتم عن جزء صغير منه، فلن تشعروا بجمال المعنى في كماله، لأنكم بهذا تكونوا قد فقدتم جزء من المعنى. لأنه تمامًا، فمثل أولئك الذين لا يعرفون الطريق، ويحتاجون إلى مُرشد، فإنهم حتى وإن كانوا بعد قد تابعوه لمدة طويلة، إلا أنهم إذًا شردوا عنه لحظة، وإختفى من أمام أعينهم، فلن يجدوه، لن ينفعهم الإرشاد الذي تمَّ حتى تلك اللحظة في شيء، وسيكون بلا فائدة على الإطلاق، ولن يعرفوا إلى أين يتجهوا. هكذا أولئك الذين يُتابعون مُتحدثًا ما، إن حدث وشردوا عنه قليلاً، فإنهم سيفقدوا التواصل معه، حتى وأن كانوا قد تابعوا معظم الحديث، ولن يستطيعوا أن يفهموا المعاني. إذًا حتى لا تُعانوا هذا الأمر، فلتتابعوا حديثي بإهتمام وإنتباه، حتى نصل إلى نهايته، ونفهم المعنى بشكل جيد.

إحتمال التجارب:

إذًا لماذا قال: «إذ لنا روح الإيمان عينه»، لماذا إهتم أن يُثبت، كيف أن الإيمان في العهد القديم، والعهد الجديد، هو مصدر كل الصالحات؟ هناك إحتياج أن نتحدث في هذا قليلاً، لأنه هكذا سيُعرف السبب بكل وضوح، إذًا

ما هو السبب؟ لقد أحاطت بالمؤمنين حروب كثيرة، عندما قالوا هذا الكلام، حروب صعبة، وبلا هدنه. لأن مُدنًا، وشعوبًا بأكملها قد ثاروا، وكل الطغاه أعدوا خططًا لهلاك المؤمنين، وملوك جهزوا جيوشًا وسلحوها، وسنّوا السيوف وأعدوا المعسكرات، وكل ما تتخيلوه من كل أنواع العذابات والعقوبات قد مارسوها، على سبيل المثال: سلب الأموال، مصادرة الثروات والممتلكات، قتل يومي، تعذيب جسدي، سجون، حرق وكيّ، وجيوش تُطلق، جلد، هدم للبيوت، وكل ما يمكن لذهن الإنسان أن يتخيله قد إستخدموه لفناء المؤمنين وإهلاكهم. بل إن الحرب لم تتوقف عند هذا الحد، لأن النار كانت تشتعل من وقت لآخر، ليس فقط من قِبل الأعداء، بل إن الطبيعة ذاتها، قد إنقسمت من داخلها. فالأباء تقاتلوا مع أبناءهم، والبنات أبغضن أمهاتهن، والأصدقاء إنقلبوا على أصدقائهم، وتشاحن الأقارب فيما بينهم، بل وأهل البيت الواحد تنازعوا فيما بينهم، وسادت الفوضى في كل المسكونة، كما لو كان قارب ما قد ملأته الأمواج، وتجمعت فوقه السحب وتصادمت فيما بينهما، البروق والرعود تُصدر أصوات مُفزعة، وظلام كثيف يُحيط به، والبحر مضطرب، والقراصنة يهاجمونه، وطاقم المركب يتمرد ويثور، فمن المؤكد أن هذا القارب لا يمكن أن ينجو من الخطر، إن لم تتدخل يد الله القوية القادرة، لتهدئة هذا البحر الهائج، وتُوقف العاصفة، وتُعيد

إليه الهدوء. هذا ما حدث في بدايه الكرازة، إذ سادت خصومات في البيت الواحد، ومَن قال هذا الكلام؟ الرسول بولس نفسه، يكتب قائلاً: « مِنْ خَارِجٍ خُصُومَاتٌ، مِنْ دَاخِلٍ مَخَاوِفُ»[٥٣]. ولأثبات حقيقة ذلك وأن شرورًا لا حصر لها قد أحاطت بالتلاميذ، سوف أذكر الخبر الذي لدى الرسول بولس. لكن عليكم أن تتذكروا كل شيء، لأنكم عندما تعرفوا مدى العذابات والتجارب، والشرور التي لا حصر لها، والتي إحتملها المؤمنون آنذاك، ستشكرون الله كثيرًا الذي وضع نهاية لهذه العذابات، ومنح كنيسته سلامًا عميقًا، وأوقف الحروب، وحل الهدوء والسكينة محل النزاعات والخصومات. ولا ينبغي أن يتصور أحد أنه سينجو من العقاب، إذ هو تراخى أو أصابه الكسل، ولا أيضًا حين يعيش بإستقامة، يمكن له الآن أن يفتخر.

لأن هناك فارق كبير بين كونك تقدر على الوقوف بشجاعة عندما تُضرب من كل إتجاه، وأن يُسفك دمك، وتتعرض لكوارث لا حصر لها، وبين أنك تُظهِر نفس الرغبة عندما تقف في ميناء خالي من العواصف، وتتمتع بهدؤك. لكن أولئك لا يقيمون في الحقيقة، وليس أفضل حالاً من الغرقى، المواجهين لمخاطر البحر، لكننا نعيش بصورة أكثر أمانًا، حتى أكثر من أولئك الذين يلقون بالمرساه في الميناء. إذًا ينبغي أن لا نفتخر ونتباهى بما حققناه من إنجازات،

٥٣- ٢كو٧:٥.

وأن لا نركع أمام التجارب التي تُصادفنا، وأن لا نسقط في الكسل، الآن حيث نحيا في أمان وسلام. وفي كل الأحوال لنكن متيقظين وساهرين، لأن في داخلنا يحدث صراع ضد شهوات الطبيعة. ليس الناس هم الذين يثورون ضدنا بل شهوات الجسد، لا يحاربنا طغاة وملوك، بل الغضَب، وعشق الأمور الباطلة، والحسد، وشهوات النفس الشريرة. إذًا طالما أننا مُتحررين من هذه التجارب، فلتنتصر على شهوات الجسد، وشهوات النفس الشريرة. لذلك فقد ذكرتكم بالمآسي والشدائد التي حدثت آنذاك، لكي يتعزى كل مَن يُعاني، وكل مَن يحيا في هدوء وراحة، مُتحررًا من تلك المخاطر، وأن ينشط في جهاده في مواجهة الأفكار الغريبة. لأن كل هذه كُتبت، حتى تجعلنا أكثر حكمة، وتعزينا، حتى تُعلمنا الإحتمال والصبر. وهناك إحتياج لأن أقول لكم كل هذه الأمور، وأن أعرفكم بمدى جدّية المخاطر التي عرَّضت حياة المؤمنين للخطر، وليس فقط حياة المعلمين، بل وحياة التلاميذ أيضًا. إسمع إذًا ماذا يقول الرسول بولس للعبرانيين: « وَلكِنْ تَذَكَّرُوا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَمَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ»[٥٤]. ولم يمر وقت طويل، بل في بداية الكرازة مباشرةً، تعرضوا للمخاطر الكثيرة. إسمع ماذا عانوا: « مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ، وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ

٥٤- عب ١٠: ٣٢.

هكَذَا»[٥٥]. لأنهم بصقوا على الجميع، وأهانوهم، وإستهزوا بهم، وسخروا منهم، ودعوهم أغبياء وحمقى، لأنهم تركوا ناموسهم الأبوي والديني، وإحتضنوا التعليم الجديد، هذا الأمر ليس بالقليل، حتى يتحرك الذهن، إن لم يكن الإيمان متجذرًا في أعماق النفس. لأنه في الحقيقة ليس هناك ما يوجع النفس بهذا القدر الكبير، سوى الإستهزاء، لا شيء يجعل النفس والذهن ينهاران، سوى الإهانة والتهكم. إن أناسًا كثيرين قد شعروا بالمهانة، بسبب الإستهزاء. أقول هذا الكلام الآن، لكي نعترف بإيماننا بشجاعة وجرأة. لأنه لو كان كل العالم قد تهكَّم عليهم آنذاك، ولم يخافوا، فينبغي الآن أن تكون الكرازة أكثر جرأة، خاصةً وأن العالم كله إلى جوارنا. فمن جهة أنهم ليس فقط قد إحتملوا الإتهامات، والإستهزاء، والإهانات، ولكنهم أيضًا قد فرحوا بالآيات والمعجزات، فإسمع ما قاله بولس الرسول: « وَقَبِلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ»[٥٦]. هكذا ترى أن الممتلكات قد تم مصادرتها، ووجدَت بلا حماية في ضمير أولئك الذين أرادوا أن يسلبوها، أي أنها كانت غير مَصونة بالنسبة لأولئك الذين رغبوا في سلبها. قال هذا الكلام، عندما كتب إلى العبرانيين.

٥٥- عب١٠: ٣٣.

٥٦- عب١٠: ٣٤.

فرح وسط الآلام:

وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي، أشار إلى أشياء مشابهة أيضًا: « وَأَنْتُمْ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِنَا وَبِالرَّبِّ، إِذْ قَبِلْتُمُ الْكَلِمَةَ فِي ضِيقٍ كَثِيرٍ»[٥٧]. لاحظ كيف جاز هؤلاء الضيقة، وليس فقط مجرد ضيقة، بل ضيقات كثيرة. لأن التجربة كانت صعبة، والخطر كان مستمرًا، ولم يترك الذين جاهدوا أن يلتقطوا أنفاسهم أو يستريحوا. لكن رغم كل هذه المعاناه، وهذه الآلام، لم يغضبوا، ولم يتذمروا، ولم يفقدوا شجاعتهم، بل فرحوا كثيرًا جدًا، من أين تستنتج هذا؟ من كلمات الرسول بولس نفسه، لأنه بعدما قال: «في ضيق كثير»، أضاف: « بفرح الروح القدس». مُعلنًا هكذا، بأن التجارب وإن كانت قد سبَّبت ضيقًا كثيرًا، إلا أنها قد ولّدت فرحًا. لأن الذي عزَّاهم وأراح ضميرهم، هو أن كل هذه المعاناه، كانت لأجل المسيح. وما يدهشني في المسيحيين آنذاك، ليس في حجم أو قدر المعاناة والآلام التي جازوها، بقدر ما أنهم عندما إجتازوا هذه الضيقات لأجل الله، كانوا فرحين. وعندما يجتاز المرء الضيقة، ويُعاني، فهذه سمة من سمات الشجاعة، والنفس المحبة لله. لكن أن يحتمل أحد التجربة بنبل وشجاعة، وأن يشكر ذاك الذي سمح بالتجربة، فهذا ملمح نفس تتسم بالبطولة، ومتطلعة نحو الأمور السمائية، ومتحررة من كل الأمور الأرضية.

٥٧- ١تس١:٦.

وليس فقط قد وصل الأمر إلى هذا الحد، لكنه أعلن عن شرور أخرى قد عاناها المؤمنون آنذاك من أصدقائهم، وأقربائهم، وهذا كان أسوأ شيء، هكذا يقول: «فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا، كَمَا هُمْ أَيْضًا مِنَ الْيَهُودِ»[58]. وفي أي شيء صرتم متمثلين؟ في أنكم « تألمتم أنتم أيضًا من أهل عشيرتكم - كما من اليهود». إذًا ها هي حرب، بل وحرب أهلية، سببت ألمًا كبيرًا. يقول النبي: « لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي»[59]. وهذا قد حدث آنذاك، رمزيًا. لذلك كان لديهم إحتياجًا شديدًا للتعزية. هذا ما كان يشغل الرسول بولس وهو يرى المؤمنين وهم ويُعانون، ويتعبون، فقد أراد المضطهدين أن يجعلوهم يركعون تحت ثقل الكوارث، وأن يتألمون بسبب الإصابات المؤلمة جدًا، وإستخدموا أساليب متنوعة حتى يُهبّطوا من عزيمتهم. الآن يقول لهم: « إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقًا، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا، عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ»[60]. ويقول في موضع آخر:

٥٨- ١تس٢:١٤.

٥٩- مز٥٥:١٢-١٣.

٦٠- ٢تس١:٦-٧.

«اَلرَّبُّ قَرِيبٌ. لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ»[٦١]، ويقول أيضًا: «فَلاَ تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ الَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللهِ تَنَالُونَ الْمَوْعِدَ»[٦٢]. بعد ذلك يحثهم على الإحتمال، قائلاً: «لأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيل جِدًّا سَيَأْتِي الآتِي وَلاَ يُبْطِئُ»[٦٣]. تمامًا مثل طفل يبكي، ويتضايق بسبب غياب أمه، ويطلبها بإستمرار وبدموع، ثم يأتي جار ويعزيه، قائلاً له إنتظر قليلاً، وأينما تكون، ستأتي أمك. هكذا فعل الرسول بولس وهو يرى المؤمنين وهم متضايقون، ويبكون، ويحزنون، ويطلبون جميعًا ظهور المسيح، لأنه لم يكن في مقدورهم بعد أن يحتملوا هذا السيل من الكوارث، معزيًا إياهم قائلاً: «بعد قليل جدًا سيأتي الآتي ولا يُبطيء».

سمات الرسالة السمائية:

إذًا فقد عانى التلاميذ آلامًا لا حصر لها، فمثل الحملان المحاطة بالذئاب، هكذا هم أيضًا فقد واجهوا هجومًا من كل مكان، ومن أجل كل هذا، صارت هذه الآلام ظاهرة، أكثر مما قلنا سابقًا ولكي تعلم أن المعلمين قد نالهم الكثير من الآلام، ليست بأقل من هذه الآلام، بل عانوا ما هو أصعب بكثير، لأنه بقدر ما تكدَّر وأغتم أعداء الحقيقة، بقدر

٦١- في٤: ٥، ٦.

٦٢- عب١٠: ٣٥، ٣٦.

٦٣- عب١٠: ٣٧.

ما إضُطهِدوا المعلمين أكثر بكثير من غيرهم. فذاك الذي كلمنا قبلاً عن هذه الآلام، ستسمعوا منه الآن، حين يكتب إلى أهل كورنثوس، قائلاً: « وَلَسْنَا نَجْعَلُ عَثْرَةً فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةُ. بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّام اللّهِ: فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ، فِي شَدَائِدَ، فِي ضَرُورَاتٍ، فِي ضِيقَاتٍ، فِي ضَرَبَاتٍ، فِي سُجُونٍ، فِي اضْطِرَابَاتٍ، فِي أَتْعَابٍ، فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ»[٦٤]. لاحظ كم المآسي التي أحصاها، وكم عدد التجارب التي إجتازها؟ فيكتب إليهم قائلاً: « أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ، فَأَنَا أَفْضَلُ: فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ، فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ»[٦٥]. بعد ذلك أراد أن يُقنعنا كيف أن ما هو أكثر أهمية من أي شيء، أن تتألم لأجل المسيح، فهذا يُعَد أكثر أهمية من أن تكون صانع عجائب، مظهرًا سماته الرسولية، موضحًا كيف أنه أسمى من هؤلاء، لا أقول أسمى من الرسل، بل أسمى من الرسل الكذبة، مُبرهنًا على تفوقه وإمتيازه، ليس بآيات وعجائب، بل بأخطار مستمرة، قائلاً: « فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ، فِي الْمِيتَاتِ مِرَارًا كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلاً وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، بِأَخْطَارِ سُيُولٍ، بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ، بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي، بِأَخْطَارٍ مِنَ

٦٤- ٢كو٦: ٣-٥.

٦٥- ٢كو١١: ٢٣.

الأُمَم، بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ، بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ، بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكَ»[٦٦]. هذه هي السمات الصحيحة للرسالة الحقيقية. لأن الآيات والعجائب لا تفيد في شيء، لأنهم مرارًا كثيرة قد صنعوا معجزات، ولم يربحوا شيئًا من وراء هذه المعجزات، بل إنهم بعد كل هذه المعجزات، سمعوا منه « إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!»[٦٧]. لكن الذين يُمكنهم أن يقولوا ما قاله الرسول بولس، هم قلة الآن، ولن يسمعوا ذلك الصوت، وسيرتفعوا إلى السماء بدالة، وسيتمتعوا بكل الخيرات السمائية.

مجد الحياة الأخروية:

ورغم أن الحديث قد إبتعد عن الموضوع، لكن لا تخافوا، فأنا لم أنسى وعدي لكم، لنعود إلى موضوعنا الآن. إنني لم أبتعد مصادفةً، بل أردت أن أُقيم الدليل والبرهان على ما أقوله، بطريقة واضحة لا تقبل الشك، وفي نفس الوقت أشجع وأسند النفوس المتألمة، حتى يتعزى كل مَن يمر بتجارب أو كل مَن يتعرض لمخاطر، فيتعلم كيف يتألم مع بولس، بل ومع الرب يسوع. وعندما يشترك في آلام هذا

٦٦- ٢كو١١:٢٣-٢٨.

٦٧- مت٧:٢٣.

الزمان الحاضر، سينال مجد الحياة الأبدية. يقول: « إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ»[٦٨]. وأيضًا: «إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ»[٦٩]. لأن هناك ضرورة في كل الأحوال، أن يتألم المؤمن ويجتاز الضيقات. لأن: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ»[٧٠]. وأيضًا يقول كاتب الحكمة: « يا أبني إن أقبلت لخدمة الرب الإله فأثبت على البر والتقوى وأعدد نفسك للتجربة أرشد قلبك وإحتمل»[٧١]. أمر جيد هو الإعلان مُسبقًا، بأننا سنجتاز التجارب سريعًا وبشدة في هذه الحياة الحاضرة، لأن إختبار الآلام يُعَد ضرورة وسند كبير وتعزية قوية.

إن أتون الإتضاع، كبير جدًا، ومتميز وإستثنائي، ويثمر الكثير من الفوائد، إسمع الكلام اللاحق، يقول: « الذهب يمحص في النار والمرضيين من الناس يُمحصون في أتون الإتضاع»[٧٢]. وهذا معناه كما أن الذهب يتعذب في النار، حتى يصير أكثر نقاوة، هكذا هي نفوسنا، بسبب الآلام والتجارب، تخرج مشرقة وفي بهاء، ويزول كل دنس خطاياها وينتهي. لذلك قال إبراهيم للغني: «وَكَذلِكَ لِعَازَرُ

٦٨- رو٨: ١٧.

٦٩- ٢تيمو٢: ١٢.

٧٠- ٢تيمو٣: ١٢.

٧١- إبن سيراخ٢: ١-٢.

٧٢- إبن سيراخ٢: ٥.

(قد إجتاز) الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ»[٧٣]. ويكتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس، قائلاً: « مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ»[٧٤]. لذلك فإن الشاب الذي زنى مع إمرأة أبيه قد سلّمه لهلاك الجسد، حتى تخلص الروح، مُبرهنًا هكذا بأن التجربة التي تأتي، تقود إلى الخلاص، كما أن التجارب لمن يحتملها بشكر وفرح، ستؤدي إلى تنقية النفس بشكل كامل. إذًا هكذا إجتاز المؤمنون ألآمًا وكوارث كثيرة، وأن التلاميذ والمعلمين، لم يستطيعوا أن ينعموا بالهدوء والراحة، وكانت أخطار شتى تحيط بهم من كل ناحية، وكل هذا قد أظهرناه، بل وأكثر من ذلك يمكن أن يجده كل مَن يريد أن يتفحص الكتب الإلهية.

شهود الإيمان:

لنأتي إلى موضوعنا الآن، لماذا قال الرسول بولس: « فإذ لنا روح الإيمان عينه؟» فبينما أجتاز التلاميذ شرور كثيرة من المضطهِدين، إلا أنهم رغم كل هذا كانوا يترجون الأمور الحسنة فقط، وبينما كانت هذه الشرور قريبة منهم، فإن

٧٣- لو١٦: ٢٥

٧٤- ١كو١١: ٣٠، ٣٢.

الأمور المرجوة كانت بعيدة عنهم، وبينما هذه الآلام قد تمت، فإن خيرات الدهر الآتي قد عاشوها بالرجاء. وما هو الغريب في هذا، لو أن البعض قد عانى من هذه الآلام آنذاك في بداية الكرازة، طالما أنه الآن، بعد كل هذا الزمن الذي عَبَرَ، وبعد أن إنتشرت الحقيقة في كل العالم، وبعد أُعطيت تأكيدات بالوعود الإلهية، يوجد كثيرون يُعانون من نفس الآلام؟

وليس هذا هو ما أزعجهم وأثارهم، بل وأمر آخر، ليس بأقل منه، إذ قالوا لأنفسهم إن الحقائق في العهد القديم لم تكن قد نُظّمت على هذا النحو، ومع ذلك فإن جميع الذين أرادوا وقرروا أن يحيوا بالحكمة والبر، تذوقوا على الفور عطايا ومكافأت الفضيلة. لأن كل الوعود قد تجسَّدت، ليس بعد قيامة الأموات، وليس في الحياة الأخروية، بل هنا في الحياة الحاضرة. يقول الكتاب: «وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذه الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا..، يُحِبُّكَ (الرب) وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ.. مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ. وَيَرُدُّ الرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ»[٧٥]. وأيضًا: «يَأْمُرُ لَكَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ فِي خَزَائِنِكَ وَفِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ، وَيُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ»[٧٦]، يقول أيضًا: « أُعْطِي مَطَرَ أَرْضِكُمْ

٧٥- تث ٧: ١٢-١٦.

٧٦ - تث ٢٨: ٨.

فِي حِينِهِ: الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ. فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ»[٧٧]. يقول أيضًا: « وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ، وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ، فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشِّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ»[٧٨]. وأمور أخرى كثيرة وشبيهه بذلك قد وعدهم الله بها، وكلها قد أعطاها لهم في هذه الحياة الحاضرة. إن الأكثر ذكاءً، يدرك الإجابة والحل لما قد يبدو متناقضًا، لأنهم كانوا يتمتعون بصحة جيدة، ولديهم حقول مُثمرة، وأبناء كثيرين وصالحين، وشيبة قوية، وتعاقب لفصول السنة هاديء ومُريح، وسنوات سعيدة، وأمطار نافعة، وقطعان من البقر والأغنام، وتمتعوا بكل ما هو خير وحسن بشكل عام في هذه الحياة الحاضرة، ولم يترك لهم شيئًا يعتمد على الرجاء، ولا وعدهم بشيء بعد الموت. إذًا فقد تكون المؤمنون قد فهموا كيف أن أسلافهم قد إمتلكوا كل الخيرات، بينما بالنسبة لهم فإن المجد، والمكافأت هي محفوظة في الحياة الأخروية، وتحقيق هذه الوعود، كان يستند إلى الإيمان فقط، لذلك فقد شعروا باليأس، لأنهم كانوا مضطرين أن ينقادوا إلى التجارب. ولأن الرسول بولس كان مدركًا لهذه الأمور ويفكر فيها، وكذلك المآسي والشدائد التي مرّوا بها وهددت حياتهم، وكيف أن الله قد وعدهم بالمجازاة عن أتعابهم بعد الرحلة إلى الأبدية، بينما

٧٧- تث١١:١٤.

٧٨- لاو٢٦:٥.

كافأ أسلافهم في هذه الحياة، وكان يعرف جيدًا مدى إحباطهم بسبب ذلك، فقد أراد أن يشدّدهم، وأن يُعلمهم كيف أنه بالنسبة لأسلافهم هكذا كانت الأمور، وهكذا صارت، وكيف نال الكثيرون مكافأتهم بالإيمان، دون المرور في التجارب أو دون أن يُجرَّب هذا الإيمان، ولذلك ذكَّرهم بالعبارة النبوية: «فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت»، قائلاً: كيف أن دواد هذا النبي العظيم الشجاع لم يختبر المكافأة أو المجازاة، لكنه عاشها بالإيمان. لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، ما كان له أن يقول: « آمنت لذلك تكلّمت». لأن الإيمان هو قناعة وثقة راسخة لا تهتز، ويقين بوجود حياة أخرى نترجاها، وأمور غير مرئية، لأن ما يراه الإنسان لا يمكن أن يترجاه في كل الأحوال، أي إن كان قد آمن بحقائق يترجاها. لكن إن كان قد آمن بما يرجو تحقيقه، فهذه بالتأكيد أمور غير ظاهرة، بل ولم يتذوق بعد ما آمن به. لذلك قال الرسول بولس: « إذ لنا روح الإيمان عينه»، وهذا يعني أن لنا نفس الإيمان الذي كان في العهد القديم. ولذلك يتكلم في مواضع أخرى، عن القديسين آنذاك، قائلاً: « رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ.. مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ»[٧٩]. بعد ذلك يُعلّمهم كيف إحتملوا العذبات، لكنهم لم يذقوا بعد المكافأت، ثم أضاف: « فَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا

٧٩- عب ١١: ٣٧، ٣٨.

لَهُمْ بِالإِيمَانِ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا»[80]. وكيف نظروها طالما أن هذه المواعيد لم تتحقق بعد؟ بعيون الإيمان التي تصل إلى أعلى من السماء، وتنظر كل ما هناك.

لكن عليك أن تنتبه إلى الحكمة الإلهية، فإن كان الله قد أظهر لهم المواعيد والمكافأت من بعيد، إلا أنه لم يمنحها لهم على الفور، حتى يُدربهم على الصبر والإحتمال. وهو قد أظهرها من بعيد، لكي يقويهم في الرجاء، حتى لا يشعروا بثقل متاعب وآلام الحياة الحاضرة.

لكن قد يكون من بينكم من هو أكثر إنتباهًا لموضوعنا الذي نتحدث فيه. ويرى أننا لا نتكلم بالصواب بقدر كبير. لأنه ـ هكذا يقول ـ لو أن القدماء لم يتمتعوا بالخيرات والمكافأت بشكل مباشر، فكيف يُعدّد لنا هذه الخيرات التي نالوها، أي فصول السنة الهادئة، الصحة الجسدية الجيدة، الأبناء الكثيرين البارين، الأزمنة السعيدة المفرحة، الثمار الغنية، قطعان البقر والأغنام، وكل الرخاء المادي والسعة في العيش؟ ماذا سنقول في هذا؟ سنقول إن الله قد عامل جموع الشعب الضعيف بطريقة مختلفة، وبطريقة أخرى عامل الرجال العِظام الذين عاشوا آنذاك حياة الفضيلة التي نعرفها في العهد الجديد. لأنه من جهة الكثيرين الذين سُحبوا كالحشرات، ولم يستطيعوا أن ينظروا إلى ما هو أسمى،

٨٠- عب١١: ٣٩، ١٣.

ولا إستطاعوا أن يترجوا خيرات الدهر الآتي، أعطاهم هذا الرخاء المادي، حتى تقوي نفوسهم الضعيفة، ويقودهم بهذه الطريقة إلى ممارسة الفضيلة، وجعلهم مشتاقين ومتلهفين إلى ممارسة الأعمال الحسنة.

لكن إيليا، وإليشع، وإرميا، وإشعياء، وكل الأنبياء بشكل عام، وكل الذين شكّلوا خورس القديسين، والرجال العِظام، قد دعاهم إلى السماء، ليتمتعوا بالخيرات المعدة للذين غيروا في حياة الفضيلة. لذلك لم يُشر الرسول بولس إلى الجميع بشكل عام بل أشار إلى الذين إرتدوا جلود غنم وجلود ماعز، الذين أُلقوا في آتون النار، وفي السجون، الذين عُذبوا ورُجموا، الذين عاشوا في فقر وعوز، الذين تاهوا في البراري والجبال والمغاير وشقوق الأرض، الذين عانوا من عذابات لا حصر لها. ثم أضاف أن هؤلاء جميعًا قد ماتوا مشهودًا لهم بالإيمان، وهم لم ينالوا المواعيد. بهذا قد أظهر لنا إيليا وكل مَن هو على مثال إيليا، وليس من الشعب اليهودي. وإذا تساءل البعض، لماذا لم يذق هؤلاء، ولا أعطاهم الآن أيضًا المكافأت المستحقين لها؟ فليأخذ الإجابة من الرسول بولس نفسه، لأنه يقول: « فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ»، ثم أضاف: «إِذْ سَبَقَ اللّه فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا»[٨١]. لأن الإحتفال مشترك ـ هكذا يقول ـ إذ أن فرح النفس أخآذ

٨١- عب١١:١٣، ٤٠.

ومدهش عندما ننال كلنا معًا، الأكاليل. وهذا ما يحدث في المنافسات الأولمبية، فإن المصارعين، والملاكمين، يتصارعون في فترات زمنية مختلفة، لكن يُنادي بفوزهم، في نفس اللحظة، أي في وقت واحد. ويحدث ذلك أيضًا في الولائم، لأنه عندما يحضر بعض المشاركين في نفس المائدة مبكرًا، والبعض الآخر يأتي متأخرًا، فإن المضيفين الداعين لهذه المائدة، يترجون الحاضرين الملتزمين، أن ينتظروا المتأخرين، حتى يكرمونهم في معيتهم. هكذا يفعل الله، لأنه عندما دعى كل الذين عاشوا طوال حياتهم بالتقوى ومرضاة الله، من كل أطراف المسكونة، إلى فائدة روحية واحدة، فإن الذين رحلوا من هذه الحياة الحاضرة ووصلوا إلى هناك، يحثهم الله على إنتظار كل الذين سيتركون الحياة الأرضية، حتى أنه عندما يجتمع الكل معًا حول مائدة واحدة، يكون المجد، والفرح الروحي، هو واحد للجميع.

لأنه، يجب أن نفكّر في كم هي عظيمة هذه الكرامة، حين يكون الرسول بولس وكل المتمثلين به، وإبراهيم وكل المتشبهين به، بل والمجاهدين أيضًا، والذين فازوا بالفضيلة من قبله، ينتظروا الآن إرتقاءنا وسمونا في الحياة الأبدية.

المظال الأبدية:

لأنه من حيث أن الرسول بولس، لم ينل بعد إكليله، ولا أي أحد آخر من أولئك الذين أرضوا الله بأعمالهم الصالحة منذ البداية، ولن يأخذه أحد، حتى يصل جميع العتيدين أن ينالوا هذا الإكليل، إسمع ماذا قال الرسول بولس نفسه، يقول: « قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا»[٨٢]. وفي موضع آخر أيضًا، يُثبت بأن خيرات الدهر الآتي ستُعطي لكل من أرضى الله بشكل مشترك، إذ يقول: « إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقًا، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا، عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ»[٨٣]. وأيضًا: «إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ»[٨٤]. هكذا يُعلن الرسول بولس من خلال كل هذا، كيف أنه ينبغي للجميع معًا أن يتمتعوا بالكرامة السمائية. هذا ومن ناحية آخرى، يُفرح أولئك الذين سبقوا ورحلوا إلى الحياة الأبدية، طالما أنهم سيتمتعوا بهذه الخيرات التي لا يُعبر عنها مع أخصائهم. لأنه عندما يُشارك الأب الجسدي في مائدة عامرة بالأطعمة

٨٢- ٢تيمو٤: ٧-٨.

٨٣- ٢تس١: ٦-٧.

٨٤- ١تس٤: ١٥.

الفاخرة، سيكون أكثر فرحًا، عندما يشاركونه أبناؤه التمتع بهذه المائدة. هكذا الرسول بولس، وكل الذين تمثلوا به، سيشعروا بالفرح أكثر، عندما يتمتعون بخيرات الدهر الآتي مع أعضاء الجسد الواحد. لأن الآباء لا يُظهرون حنو تجاه أبناءهم، بقدر الإهتمام الذي يُبدونه الذين رحلوا لمن حققوا نفس الإنجازات معهم. إذًا لكي نصير نحن أيضًا بين صفوف الذين سيتمجدون لنحرص على أن نصل إلى مستوى أولئك القديسين. وكيف نصل إليهم؟ ومَن سيُرينا الطريق الذي سيقود إلى هناك (الحياة الأبدية)؟ الرب نفسه، الذي يُعلمنا ليس فقط، كيف سنلحق بهم، بل أيضًا كيف سنصبح مرافقين لهم في سكناهم «اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ». وحسنًا قال المظال الأبدية لأنه حتى وإن كان لديك بيتًا فاخرًا وباهرًا، إلا أنه سيزول مع مرور الزمن. بل ويمكن حتى قبل أن يزول بفعل الزمن، أن يُنهي الموت حياتك، ويخرجك خارج هذا البيت المشرق. ومن ناحية أخرى، في مرات عديدة، حتى قبل أن يداهمك الموت، فإن ظروف صعبة في الحياة، مثل حملات النميمة والوشاية، والإتهام بالباطل، يُلقي بك خارج هذا البيت الفاخر. أما في الحياة الأبدية فلا شيء من كل هذا، يمكن أن يُخيف المرء، لا فساد الطبيعة، ولا الموت، ولا الكوارث، ولا شرور النمامين، ولا أي شيء آخر مشابه لذلك، لأن السكن ثابت، والسكنى خالدة. لذلك دعاها

«بالمظال الأبدية». يقول: «إصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم».

وإنتبهوا إلى المحبة الفائقة والرافة التي للرب نحو البشر، لأنه لم يضع هذه الإضافة (مال الظلم)، هكذا مصادفةً، لأن أغنياء كثيرون قد جمعوا أموالهم بالسرقة، والطمع. يقول: لقد صنعت بذلك شرًا، وما كان ينبغي أن تلجأ إلى هذه الطريقة، لكن بعدما تكون قد جمعتها توقف عن السرقة، والطمع، وإستخدم مالك كما ينبغي. أنا لا أقول لك أن تسرق، حتى تصنع إحسانًا للغير، بل لتترك الطمع، وتُدير ثروتك بما يتفق مع عمل الخير، والبر بالفقراء. لكن حتى وإن وضع الغني أموالاً لا حصر لها في أيدي فارغة أي في أيدي المحتاجين، بينما هو لا يزال يسرق، فإن الله يعتبر مثل هذا الإنسان، شبيه بمن يمارس الإجرام. لذلك يجب أولاً أن يترك الطمع، وبعد ذلك يُحسن إلى الفقراء. لأن قوة الإحسان وفعل الخير، هي عظيمة جدًا، وقد حدثتكم عنها في إجتماعنا السابق، والآن سأكلمكم عنها مرةً أخرى. لكن لا يجب أن يتصور أحد، أن هذه التذكرة المستمرة، تشكِّل إتهامًا للسامعين. إذ أن المشاهدين في المنافسات الرياضية، يقومون بتشجيع العدائين الذين يرونهم يقتربون أكثر من الحصول على الجائزة، ولديهم رجاء كبير بالفوز النهائي. ولأنني أراكم دومًا تريدوا أن تستمعوا لكلام عن عمل الخير والإحسان برغبة مُتميزة، لذلك فأنا بإستمرار، أحثكم على ذلك.

غسل النفس:

الفقراء هم أطباء نفوسنا، هم المحسنين إلينا، والمدافعين عنَّا، لأنه ببساطة أنت لا تُعطي، بقدر ما تأخذ، تعطي مالاً، وتأخذ ملكوت السموات، تخفف من حالات الفقر، وتتصالح مع الرب. أرايت كيف أن التعويض غير متساوٍ؟ الإحسان يتم على الأرض، والتعويض عنه يتم في السماء، المال الذي تقدمه، ينتهي، والتعويض عنه يستمر إلى الأبد، الذي تقدمه يتحطم ويهلك، أما التعويض السماوي، فيعلو فوق الفساد والزوال. لذلك فقد وضع آباؤنا، أولئك الفقراء أمام أبواب بيوتنا، حتى تُحدِث رؤيتهم، المزيد من الإهتمام على عمل الخير والإحسان، حتى لدى غير المبالي، وقاسي القلب. لأنه حين تقف مجموعة من العجزة منحنيين الظهر، بملابس بالية ومتسخة، ومستندين على عصيهم، وبصعوبة يقفون على أرجلهم، ومن بينهم عدد من فاقدي البصر، ومعوقين في كل أجزاء جسدهم، فمن هو هذا الشخص ذو القلب المتحجر الذي يرى أمامه السن المتقدم، والمرض، والعجز، والفقر، والملابس البالية، وكل ما يُثير الشفقة، ثم يَعبْر عليه ويبقى هكذا متقسي، لا يلين أمام كل هذه المشاهد؟ لذلك فوقوف هؤلاء أمام أبواب بيوتنا، يحرِّك فينا إحساس الرأفة نحوهم، بصورة أكثر قوة من كل كلمة، فهم يجذبوننا إلى رؤيتهم، ويدعوننا لعمل الخير والرحمة،

والبر بهم، لأنه، كما هي العادة. أن يوجد ينبوع ماء في أفنية بيوتنا، وأن من يريد أن يقف للصلاة، يغسل يديه أولاً، ثم بعد ذلك يرفعهما للصلاة نظيفة. هكذا هم الفقراء، فبدلاً من ينابيع الماء، وضع الآباء، أولئك الفقراء أمام أبواب بيوتنا، حتى يغسلوا نفوسنا، أولاً بإظهار العطف والمحبة نحوهم، كما هي عادة غسل أيدينا بالماء، الذي يتبعه الوقوف للصلاة.

لأنه، ولا حتى الخواص الطبيعية للماء، تنظف تلوّث الجسد جيدًا، بقدر الإحسان وعمل الخير، الذي يغسل وسخ النفس. فكما أنه، لا تستطيع أن تدخل للصلاة، بأيدي مُلوثة، على الرغم من أن هذا السهو، هو أمر بسيط، هكذا فإنه بدون عمل الخير والبر بالفقراء، لا تستطيع أن تصلي بالحقيقة فبالرغم من أنه كثيرًا ما تكون أيدينا نظيفة، فإنه إن لم نغسلها أولاً، لا نرفعها للصلاة، كم هي قوية هذه العادة. نفس الأمر يجب أن نفعله في الإحسان وعمل الخير، فحتى وإن كان ضميرنا غير مُثقّل بأي خطية، ومع ذلك يجب أن نغسله بالإحسان إلى الفقراء. لقد عانيت من مآسي كثيرة في السوق، على سبيل المثال: أن أثارك عدو ما، قاضي ما أجبرك على فعل أمر غير لائق، صديق ما دعاك لكي ترتكب خطية معينة، وأمور أخرى كثيرة من الممكن أن يصادفها المرء في حياته. من أجل كل هذا، فلتدخل إلى

الكنيسة، لكي تطلب من الله، غفرانًا لخطاياك، حتى تدافع عن نفسك. ألقي بالمال في أيدي الفقراء، وأغسل ذلك الوسخ الذي أصاب نفسك، لكي تستطيع أن تترجى بدالة، ذاك الذي يمكنه أن يغفر لك خطاياك. فإن إعتدت أن لا تتجاوز هذه العتبات المقدسة، بدون أن تعمل عمل الرحمة والبر بالفقراء، فلا يجب أن تنسى أبدًا هذه الرغبة، ولا ندعو هذا عملاً، لأن هذه هي قوة العادة. إذًا هكذا هو الأمر دائمًا، فحتى لو حدث لك ذلك، فإنك لا تقبل أن تُصلي بأيدي غير مغسولة، لأن هذا الأمر قد صار لك عادة. هكذا في موضوع البر بالفقراء، لو أنك وضعته في حياتك كمبدأ، وترغب في إتمامه كل يوم، فلا يجب أن تُتمم هذا الإلتزام بإعتباره عادة.

زيت الصلاة:

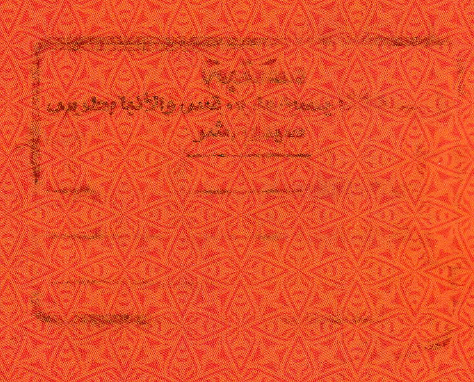
الصلاة هي نار، عندما تخرج من نفس ساهرة مُتيقظة، لكن هذه النار تحتاج إلى زيت حتى تتلامس مع قباب السماء. وزيت هذه النار، ليس شيء آخر، سوى الإحسان والبر بالفقراء. إذًا فالتكسب هذا الزيت بوفرة، لكي تستطيع أن تصلي بنفس قوية ولها دالة أمام الله. لأن أولئك الذين لم يفعلوا أي شيء حسن، لا يمكنهم أن يُصلّوا بدالة، كذلك فإن أولئك الذين فعلوا شيئًا حسنًا يستطيعوا بعد هذا العمل البار الذي تمموه أن يذهبوا للصلاة، ويصلّون بشهية كبيرة،

وينالون قوة كبيرة، بسبب أنهم يتذكرونهم بإستمرار. وحتى تصير صلاتنا في هذا الإطار، قوية ومقبولة، من خلال فكر يقظ وقت الصلاة، فلتأتي إلى الصلاة مستندين على البر بالفقراء، ولنتذكر جيدًا كل ما قيل. وفي كل ما قلناه، أترجاكم أن تحتفظوا بتلك الصورة في أذهانكم على الدوام، وهي أن الفقراء الذين كانوا يجلسون على أبواب الكنائس، يُسدِّدون إحتياج النفس ويُنقونها، هذه التي هي في جسد، يُغسل في المقابل من نبع ماء. فإن إحتفظنا بهذا في أذهاننا على الدوام، فإننا نُنقي أفكارنا بإستمرار، وسيُمكننا بحق أن نصلي بدالة أمام الله، وننال ملكوت الله، بالنعمة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة إلى الأبد أمين.

فهرس لبعض الشواهد الواردة بالنص

الرسالة إلى العبرانيين:

رسالة يعقوب:



• المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com